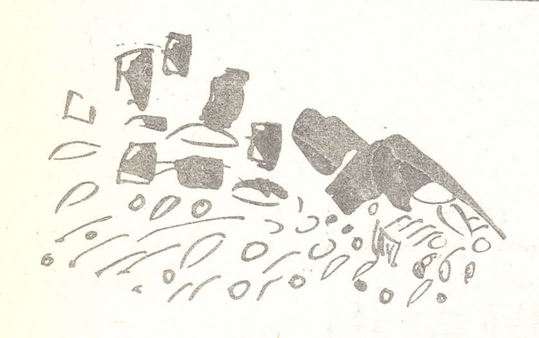
قمر دمشقي





قمر دمشق يسافر في دمي
وبلابل وسنابل وقباب
الفل يبدأ من دمشق بياضه
وبعطرها تتطيب الأطياب
والماء يبدأ من دمشق .. فحيثما
أسندت رأسك جدول ينساب
والحب يبدأ من دمشق .. فأهلنا
عبدوا الجمال ، وذوبوه وذابوا
والخيل تبدأ من دمشق مسارها
وتُشَدُّ للفتح الكبير ركاب
والدهر يبدأ من دمشق .. وعندها
تبقى اللغات وتُحفَظ الأنساب
ودمشق تعطي للعروبة شكلها
وبأرضها تتشكل الأحقاب

السيدة الدكتور نجاح العطار - راعية الحفل

سيداتي ، آنساتي ، سادتي .

أهلا وسهلا ومرحبا بكم في حفل دمشقي النكهة ، سوري المذاق ، عربي السمات ، يجسد الوفاء والعرفان بأبهى صورهما وأسماهما .

إنه حفل تكريم الأديبة المبدعة السيدة " إلفة الادلبي " بمبادرة رائعة مشكورة من إدارة مجلة " الثقافة " مجسدة بصاحبها وعميدها ورئيس تحريرها الأستاذ الأديب الشاعر مدحة عكاش .

وها نحن أولاء مع أول سطر من سطور هذا الحفل الكريم .. مع الباحث والعالم والمحقق الأستاذ الدكتور " شاكر الفحام " رئيس مجمع اللغة العربية .

تحية للسيدة إلفة الإدلبي في حفل تكريمها

الدكتور شاكر الفحّام

ايها الحفل الكريم ،

السيدة إلفة الادلبي صوت متميز ، أطلت على دنيا الأدب بمجموعتها القصصية الأولى (قصص شامية) سنة ١٩٥٤م ، فاستحوذت على إعجاب قرائها بأسلوبها الساحر وتمكنها من ناحية الفن ، لقد بدأت عطاءها الطيب بعد أن استوفت متطلبات صناعة الكتابة ، واستكملت أدواتها ، ففاجأت القرّاء بما قدمت من قصص مُعْجِب مؤنق . ولست أدري : أكان لها تجارب سابقة ، ولم تر نشرها وأهملتها إذ لم ترض عنها؟ كل ما نعرفه أنها شغفت بالقراءة والمطالعة شغفا عظيما منذ صغرها ، غرس فيها والدها حب المطالعة ، فاندفعت تروي ظمأها الى المعرفة ، وتنهل مما ضمته مكتبته من نفائس الكتب وأعلام التراث ، ثم رفدت ذلك بما أباحه لها خالها الأستاذ كاظم الداغستاني ، وكان من أكابر الأدباء ، من الاطلاع على ماحوته مكتبته من نتاج كتّاب العصر من أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وجبران خليل جبران ومعروف الأرناؤوط وأحمد شاكر الكرمي وماري عجمي ومي زيادة ...

وكان لهذه المطالعات أثرها البعيد في تنمية تذوقها الأدبي ، وإشراق أسلوبها وبيانها ، مما تلمسه واضحا بيّناً في نتاجها .

وإذا كانت السيدة الادلبي قد عرفت أول ماعرفت بموهبتها النادرة في فن القصة القصيرة فإنها لم تقصر نفسها عليها ، بل كتبت في فنون الرواية ، والمقالة ، والنقد . وبثت الأحاديث المذاعة ، وحاضرت في الندوات الأدبية ، وشاركت في المؤتمرات في سورية وخارجها ، وكتبت في الصحف والمجلات .

لقد شقت السيدة الادلبي طريقها الأدبي

بثقة وتصميم ، واستقبل النقاد كتبها بكثير من الترحاب والتقدير ٠ قدم الأستاذ محمود تيمور لمجموعتها القصصية الاولة (قصص شامية) ، فذكر أن القراء بعد أن يفرغوا من قراءتها سيتفقون ، مهما اختلفت أذواقهم ، على أن كاتبة قصصية قد بزغ نجمها في أدبنا العربي الحديث٠ وإني مكتف بهذه الشهادة نموذجا لأمثالها مما عرضه النقاد في سياق حديثهم عن الكاتبة وأسلوبها وطريقتها ٠

وقد رزقت كتبها المطبوعة الشهرة والذيوع فأعيد طبعها ، وترجمت جملة منها الى لغات مختلفة ، نيفت على العشرة كالانكليزية والفرنسية والايطالية ٠٠

* *

أول ما يلقاك في نتاج السيدة الادلبي هذه المسحة الدمشقية ، فتحس وأنت تقرؤه أن حب دمشق قد ملك عليها نفسها ٠ إنها تصف لك دور دمشق بطرازها وترتيبها وقاعاتها وبحراتها ونوافيرها وأنواع أزاهيرها التي يضوع أريجها ٠ " أتُصدّق أنني مهما سكنت من الدور فإني مازلت إلى الآن أحب دورنا الشامية القديمة، وأحن إليها ، وافضلها على غيرها ٠٠ توحي إليك دائما أنها تضم أناسا متحابين ، متآلفين ، يشد بعضهم أزر بعض ٠٠ "

وتسحرها طبيعة دمشق وبساتينها وغوطتها بجمالها الأخاذ ، وتتحدث حديث الرضا والحب عن عادات أهلها بودهم وتضامنهم وأريحيتهم ، وما يلتزمون من سنن في الأفراح والمآتم والمواسم وسواها ، كما تصور لك عواطفهم وأساليب تفكيرهم ٠ ولا يعني هذا أنها كانت تقبل كل شيء ، بل هي تعنى بالثابت النافع من هذه الأعراف ٠

تتحدث عنه حديث المحب الوامق ، وتدافع عنه ، خشية أن يعصف به الغزو الثقافي الوافد من الغرب ٠

لقد عرفت السيدة الادلبي دمشق وناسها عن قرب أحسن المعرفة ، وجعلت الحديث عنهم غرضها المحبب ، وجاء أسلوبها في التعبير عن أفكارها ونوازعها وعواطفها سهلا يسيراً لا تكلف فيه ولا تصنع ، فحققت هذا الانسجام بين الغرض والأسلوب ٠ وكان من تمام هذا التلاؤم أن تزين عباراتها أحيانا بتلك الأمثال الشامية بما تنطوي عليه من حكمة هي خلاصة التجربة الشعبية ٠ وتضم الى ذلك ما وعته من حكاياتهم وأساطيرهم ، ولا تتوانى في أن تستمد من التعابير التي يتداولها الناس كقولها : " وأتفرس في تقاطيع وجهه المكلثمة " ، " وارتدى فوقه ميتانا مخططا " ، و " يمد يده الى عبه " ٠

وتميز أسلوبها بالعاطفة الصادقة ، كما ساعدتها عينها اللماحة البصيرة ، ومقدرتها الفائقة على التصوير والوصف أن تنقل إليك الصور حية ماثلة بين يديك ٠

كنت أحس متعة كبيرة وأنا أقرأ الوصف الحي البديع الذي كانت تجلو فيه السيدة الادلبي طبيعة دمشق وجمالها ٠ ومما كنت أعجب له أني ما قرأت مرة هذه الأوصاف إلا وجدتني أترنم بعدها بأبيات البحتري الدالية في وصف دمشق ، على اختلاف المنزعين ، وتباعد الزمنين ، لا يجمع بينهما إلا حب دمشق العميق ٠

إن هذه الطريقة الفذة في تصوير دمشق أهليها وسكناهم ومعاشهم وعاداتهم وطرائقهم في التفكير والوشائج التي تربط بينهم ٠٠ كل ذلك يجعل من هذا الفن الجميل وثيقة أيضا لدارسي الحياة الاجتماعية في دمشق في النصف الأول من هذا القرن ٠

ومن تمام المسحة الدمشقية ما نجده في كتابات السيدة الادلبي من الحديث عن روابطها الوشيجة بأسرتها ، ومن الحق أن كتاباتها في هذا

المجال تفيض حبا وتعلقا بأهلها ، ولا أريد أن اضرب الأمثلة بل أكتفي بذكر روايتها الشهيرة : (حكاية جدي) وحديثها عن خالها الاستاذ كاظم الداغستاني ٠

على أن المسحة الدمشقية التي عرضتها لا تعني الانكفاء والعزلة ، فإن السيدة الادلبي كانت الاديبة الوفية لدمشق تشارك أهلها في مشاعرهم وعواطفهم وأفكارهم وتطلعاتهم ٠ وكان في مقدمة ما يتشوق إليه أهل دمشق ويناضلون من أجله : الاستقلال والوحدة العربية والعدالة الاجتماعية ، والتزمت الأديبة الكبيرة بما التزم به جيلها ، وكانت في الصفوف الاولى ٠

إنك تحس في كتابتها الاهتمام والعطف على الفئة المستثمرة ، والدعوة الى تحقيق العدل ، ومحاربة الظلم ، والتمسك بالمثل والقيم ، وتتراءى لك هذه النزعة الانسانية ، ظاهرة حينا ومبثوثة بين السطور حينا آخر ٠

وكذلك النزعة القومية كانت جلية واضحة في نتاج السيدة الادلبي ، فقد نسجت عدة قصص تتحدث عن الثورة السورية والتضحية والفداء ، بل أنها ألفت روايتها الشهيرة (دمشق يا بسمة الحزن) التي تدور أحداثها إبان الانتداب الفرنسي ، وتصف فيها حياة أسرة دمشقية في ظل جو وطني يدعو الى النضال والثورة على المستعمر ، وثمة قصص أخرى تتحدث عن النضال من أجل فلسطين ، وتطالعك في كتاباتها دعوة صادقة الى الوحدة العربية ٠

لقد كانت السيدة الادلبي في ذلك كله الابنة البارة لدمشق ، تمثلت قيمها العربية والانسانية ، ورفعت رايتها، وتميز أسلوبها الذي اختارته بالواقعية ، ويهزك في كتاباتها ويملؤك اعجابا هذا التفاؤل بمصير الانسان ، وتعانق الادب والمثل العليا ٠

وفي قصص السيدة الادلبي وصف دقيق وتصوير رائع لنفسية المرأة في البيئة الدمشقية ونوازعها ونزواتها وأمانيها ، لقد استطاعت أن تغوص الى أعماق المرأة لتصف لنا ما يشتجر في نفسها من عواطف تبلغ حد التضاد ٠ وكانت ماهرة في تصوير تلك الدقائق التي تستعصي على التعبير ٠

ووقفت السيدة الادلبي الى جانب المرأة تدافع عن حقوقها وترفع عنها مظالم العصر والرجل ٠ وقد أفادت من أن القصة تتسلل الى أفكارنا برفق وتؤدة ، فنثرت فيها كثيرا من هذه الافكار التي تريد بثها ، انطقت بها أبطالها ، لتصل الى مبتغاها في الاصلاح ٠

ولم تكتف السيدة الادلبي بما جاء في قصصها او في روايتها (دمشق يا بسمة الحزن) من الانتصار للمرأة وتعزيز موقفها ،بل آثرت أن تسطر في ذلك المقالات أيضا ، مثل : المرأة العربية والعقيدة ، المرأة والعبقرية ، المرأة في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وكانت ترمي من وراء ذلك كله الى إقناع المجتمع أن يفسح المجال للمرأة لتقف إلى جانب الرجل على قدم المساواة في مجالات التطبيق والواقع " لأن إعطاء الحق شيء ، والعمل به أو تنفيذه شيء آخر ٠٠

أيها الحفل الكريم ،

لا يسمح المقام لي أن أفيض في الحديث عن السيدة الادلبي ، ولا أن أتناول نتاجها بالدرس ، فلقاؤنا اليوم قاصر على التكريم ، وكلمتي إنما هي تحية للسيدة الادلبي وتهنئة في حفل تكريمها الذي تنادى اليه اصدقاؤها ، تقديرا لمكانتها الادبية ٠

وان تكريم المبدعين ظاهرة عافية في المجتمع ، تدل على الترابط والتواد بين أبنائه ، وتعبر عما يملأ نفوسهم من المحبة والتقدير للنابغين النابهين ٠

أيها السادة :

إن عالم أديبتنا " إلفة الادلبي " واسع وغني وحافل فلقد استطاعت من خلال نتاجها أن تصور أعماق المرأة الشرقية بعامة والدمشقية بخاصة بكل مافيها من علائم وغرائز ونزوات وشطحات ..

وها نحن أولاء الآن ، ندخل آفاق هذا العالم مع أديبة متميزة وقاصة معطاءة ، وصاحبة المجموعات القصصية والروائية : كيف نشتري الشمس - العربي بلا جواد - امرأة متلونة - خطوات كالضباب - وغيرها ..

إننا الآن مع الأديبة القاصة " ملاحة الخاني" ..

كلمة الأديبة : ملاحة الخاني

جئتم ، وجئت ، مشوقين لتحية شادية دمشق ، السيدة إلفة الادلبي .

واية دمشق ؟ ..

تلك الغافية في حضن الأحلام المتيقظة على الدنيا ، الوثابة الى اقتناص النجوم السرمدية .

إلفة الادلبي ، التي سلكت درب التعبير الهادىء والأنيس في حديثها عن الأزقة الضيقة ، والبيوت المتلاحمة ، والعشاق الخفرين ، والحضارة المتوارية .

تلك القادرة - وأنا عاجزة - على سكب مهرجان الأزاهير الشامية عطرا في الغرف والدهاليز ، " البنفشا ، الياسمين الأصفر، الشاب الظريف ، والفتنة ، والدادة " والتي مع الأسف غابت عن دياراتنا ، وعن عيون أبنائنا ، بعد أن انقلبت البيوت الفسيحة المشرقة إلى علب اسمنتية متراكبة .

تحييك السيدة " إلفة " بابتسامة دمثة حميمية ، تتحيز في عينيها ضحكة فطنة آسرة ، تدعوك إلى المكوث معها والتخلي عن بعض مشاغلك .

تستوقفك ، مصافحة متسائلة عن أحوالك وصحتك وأخبارك ، تحس بأنك مع سيدة دمشقية تكنز ثروات ثرة من دماثة العادات والتقاليد والتربية الشامية ، همومك ، آلامك ، صراعك مع الحياة رغبة اكتناه أسرارها ، اندفاعك نحو تغيير المفاهيم الخاطئة عند قيمة المرأة كإنسانة فاعلة منتجة في المجتمع . كلها ، تستثير اهتمامها ، فتواسيك بكلمات ظريفة منتقاة تهيب بك أن ترسم على شفتيك ابتسامة الرضى .

في يوم جئت الندوة الثقافية النسائية مستمعة إلى قصة للأديبة إلفة ، قالت :

- أرجو أن تعجبكم قصتي هذه .

عقب كاتبنا " حنا مينه " من الصفوف الخلفية :

- ستعجبنا ، ستعجبنا

قلت : وكيف لا يعجبنا حديث دمشق بلسان عاشقتها؟

عندما هتف لي الأستاذ الشاعر " مدحة عكاش " الذي حمل لواء التكريم والتكليف ، أنهى قوله :

- أنا أدعوها ياسمينة دمشق ٠

وأنا تذكرت قول نزار :

أنا الدمشقي لو شرحتم جسدي
لسال منه عناقيد وتفاح
ولياسمين حقوق في منازلنا
وقطة البيت تغفو حيث ترتاح ٠

وما قال شوقي بغدادي :

طفل أنا ، خلالها ضائع
في بلدة صاخبة ، قاسيه
إن هي إلا من كتاب الهوى
ورقة من بعض أوراقيه

أو ٠٠
أحب دمشق إذا الليل جاء
وضجت شوارعها بالنساء
وأنت معي في طريق مضاء
فيا طفلتي ٠٠
هذه بلدتي
مراح الهناء
أحب أحب إذا الليل جاء
دمشقي ، وأنت ، وهذا المساء ٠٠

كيف يحكي المرء عن دمشق ، ولا يحكي عن أديبتنا ٠٠ ؟

كيف ينسل من شعاعها ألقا ولا يتذكر بسمة الحزن ، وكيف يخطو مبتعدا ، متجاوزا تلك الحميمية التي تناغمت معها ؟

أعود إلى كتابات " إلفة الادلبي " فأجد بساطة آسرة في التعبير ، وشفافية في تناول الموضوعات ، صيغت مغلفة بنفحة ذكية ، ودعابة بريئة ٠

الجو العام دمشقي عائلي ، ثر بذكريات أصيلة متجذرة في حضارة نبعت من هذه الأرض٠ أبطالها من الجنسين يتميزون بالتسامح والطيبة والسمو ، ودماثة الخلق ، بالقهر حينا ، وبالصلابة حينا آخر ، وهم خالون من تعقيدات الحياة العصرية العنيفة ، ونادرا ما يبلغ الغضب بهم حد القتل ، والخبث حد الايذاء ٠

بالرغم من الظروف السيئة ، والأجواء المتزمتة لأبطالها ، تبرز لدى الكاتبة شخصية المرأة بزخم فهي متحررة نوعا ما ، واثقة الخطو، تجالس الرجال وتحادثهم ، وتقع في الحب ، وتخفق في الحب ، غير أنها مهما بلغت من شأو تظل ذاك المخلوق المقهور ضمنا ، المؤمن بالخرافات ، بالجن والسحر والشعوذة ، والمتعلق أبدا بالبيت ، والأحلام ، والزوج ، وقيم المجتمع وعاداته ، متعلقة كذلك بمقدم الصداق ، ومؤخره، ونوازع الأهل وخوفهم عليها ، بنت بيت وعلى مستقبلها زوجة في بيت عريسها ، ويلجأ معظمهم الى تثمين قيمتها بالمال ، ذهبا أو فضة، من القديم ، وإلى يومناهذا ، وإن تغيرت الحال فباتت تعدل ارتفاعا وانخفاضا مع نزوات الدولار٠

اهتدت الكاتبة الى تأصيل العادات التي تتضمن فكرة نقدية خشية التبدد والنسيان أمام طوفان عادات دخيلة اندلعت علينا في ظروف خارجة عن إرادتنا ، حتى بتنا كذلك الغراب الذي نسي مشيته بعد أن جعل يقلد مشية الحجل ٠

وللسيدة إلفة فضل بعث الحياة في

التجارب الشعبية وحكاياتها التي قد تذهب مذهب المثل ، كهذا الحديث ليلة الزفاف ، إذ يسأل الشاب عروسه :

- أنا وإياك على الدهر ، أم أنت والدهر علي ؟

فتجيبه على استحياء دون أن ترفع بصرها :

- أنا وإياك على الدهر •

وكثيرا ، ما ينقلب الزوج والدهر عليها

وإذا حكت الفة الادلبي عن المرأة في قصصها الشامية ، فإنها لا تنسى أن ترينا الوجهين معا لقطعة العملة الواحدة :

الأم المتلهفة ، وكذا الزوجة الصدوق ، التي تختزن به كمّاً ثرا من تقاليد تربوية ، درجت عليها فأبعدتها عن الغرق في الترهات •

يغلب جو الثراء بواقعه وإطاره الاجتماعي على مجمل القصص والروايات • يتقبله المرء بامتنان ، وبما يثير لديه من ذكريات ، من نمنمات ، من بحث عن جمال ولى ، عن خفقه قلب امرأة طارت مع أحلام ندية •

إن ما يضفي قيمة استمرارية محببة على هذه الذكريات رغم طغيان التحدث عن الاعراف على حساب فنية القصة أحيانا ، أنها رويت لتأكيد عبرة وعظة وتعرية •

إن الكاتبة في رصدها لحركة المجتمع من خلال أحد أعمالها كرواية " دمشق يا بسمة الحزن " تمثل العدسة الأمينة التي صورت واقعا يعيشه الناس بجزئياته ، فالخيوط الخيرة في مجرى الرواية ما تكاد تحبك وتنسج حتى تبلى وتغيب ، والنقطة القوية الأشد بروزا في مجمل الأحوال السلبيه القائمة تتمثل في بداية انطلاق المرأة في المجتمع •

لا ننسى مطلقا بأن الكاتبة تأخذ جانب المرأة المغلوبة على أمرها ، تحكي عن اضطهادها ،ومن خلال تلك الظلمة التي تعيشها المرأة في بلادنا آنذاك ، نتلمس وجه الرجل المتسلط الطاغي بنحو لا تتوازن فيه طيبة المرأة مع سوءات الرجل •

إن استقراء تلك الأحداث بالنحو الذي صورت فيه يوحي بأن الكاتبة ما تزال ترى امتدادات لذاك الوجه القاتم من سلوكية الرجل في مجتمعنا أعود فأقول :

إن الكاتبة في حالاتها! الروائية والقصصية أخذت الجانب التسجيلي ، انجرفت معه ، فكتبت

اخذت الجانب التسجيلي ، انجرفت معه ، فكتبت

عن أحداث كانت تقع بالفعل من حولها لا عن أحداث تركيبية ، او تخيلية اقتضاها التسلسل الدرامي ، فهو موقف وثائقي لا بناء درامي منبثق عن صميم الحالة ، الحالة الروائية ، وأنا أكبر عمل الكاتبة التي وظفت الأحداث التي سمعتها وواكبتها خلال الثورة السورية وفي مرحلة تطورية وانتقالية وحاسمة جدا دقيقة من حياة شعبنا ، وضمن إطار عملها الروائي المرموق ، ويكفي عملها قيمة ضمن إطاره الجميل ، وحدوده الفنية أنه نقل إلينا صورة محببة روحية وغنية عن فترة سبقت من الحياة اليومية لأهل بلدنا ، كان يمكن لها أن تذوي وتموت في طيات النسيان وأن تغيب إلى الأبد عن ذاكرة الناس •

ملاحة الخاني

طلسم



يقول الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

ويقول الشاعر ثانية عن الشعر والشعراء:
روى الراوون أن عثروا بمصر
على دَرْج غريب الخط مبهم
فحاول حله العلماء .. لكن
بدا لجماعة العلماء طلسم
إلى أن حله الشعراء شعرا
ومن بالشعر كالشعراء يفهم

ذاك عن الشعر والشعراء ، فيا ليت شعري ماذا سيقول القاص حين يتحدث عن القاصة ، وهو من هو ، وهي من هي .. ؟

أيها السادة ..

نحن الآن مع الأديب الكبير والقاص المبدع الدكتور عبد السلام العجيلي .

كلمة الدكتور
عبد السلام العجيلي

سيدتي الوزيرة راعية الحفل ، سيداتي وسيداتي

على الرغم من محبتي للزهور ، لابد لي من الاقرار بأن معرفتي بأنواعها وصنوفها وبأسمائها معرفة ضعيفة ومحدودة . يرجع ذلك إلى أني ابن بادية لم أعرف في صغري غير الورود البرية التي ما أن تطلعها أمطار الشتاء القصيرة أيامه حتى تجورعليها الشمس المحرقة وتهب عليها ريح السموم في القيظ فتذبل وريقاتها الناعمة وتتهافت متساقطة بأسرع مما طلعت وتفتحت . وحين تفضلت عليَّ أديبتناالكبيرة التي نحتفل بتكريمها في هذه الأمسية وأهدتني ، منذ سنوات عديدة ، مجموعة محاضراتها " المنوليا في دمشق" رجعت إلى قواميسي لأتعرف على المنوليا ، هذه الزهرة الغريبة عني ، ولأرى لماذا آثرت المؤلفة أن تسمي الليدي جين ديكبي ، الشخصية الرئيسية في المحاضرة الأولى من تلك المجموعة ، باسم هذه الزهرة ، وجدت المراجع التي عدت إليها تقول عن شجرة المنوليا وأزهارها مايلي :

" المنوليا نباتات رائعة ، منظرها الأنيق وأوراقها اللامعة البراقة المتينة في نسجها ، المتقابلة بانتظام على جانبي كل غصن منها ، وأزهارها الكبيرة الناصعة البياض ذات الرائحة العطرة ، تجعلها مرغوبة بكثرة كنبات زينة في الحدائق والمنتزهات " .

اذن فهذه هي المنوليا وهذه زهرتها ، جاءت الليدي جين ديكبي بهذه النبتة من بلدها انكلترا ، فغرستها في دار بَنَتْها لنفسها في حي مسجد الأقصاب من هذه المدينة في منتصف الخمسينات من القرن الفائت ، القرن التاسع عشر.نَمَتْ شجرة المنوليا في صحن تلك الدار وترعرعت وعاشت عشرات السنين حتى شهدتها السيدة إلفة بعينيها وملأت يديها من أزهارها العطرة في سنين متعددة . وانتهت بأن أوحت لأديبتنا بمحاضرتها لنا عن تلك السيدة الانكليزية الليدي جين ديكبي ، هذه السيدة سليلة الأسرة البريطانية العريقة أصبح اسمها ،بزواجها من اللورد النبرو ، ليدي آلنبرو . ثم صار اسمها البارونة فينيغن ، باسم زوجها الثاني النبيل الألماني البافاري ، البارون فينيغن . وتغير اسمها مرة أخرى فأصبح الكونتيس ثيوتوكي بزواجها الثالث بالكونت اليوناني ثيوتوكي . تعددت أسماؤها ، كما تعددت ألقابها ، بتعدد الأزواج وبتبدل العشاق . وكأن السيدة إلفة أرادت أن تخرج ببطلة المنوليا .. محاضرتها من هذه البلبلة في التسميات فآثرت أن تطلق عليها اسم الزهرة التي غرست شجرتها في تلك الدار من حي مسجد الأقصاب فسمتها المنوليا ، المنوليا في دمشق .

من يقرأ منكم محاضرة السيدة إلفة الادلبي عن المنوليا في دمشق لابد أن يلفت نظره مالفت نظري من التسامح والعطف اللذين تحدثت بهما عن تلك الانكليزية الغريبة في نشأتها وطباعها وأسلوب عيشها غرابة أوصلتها إلى الشذوذ • كانت الليدي جين امرأة بارعة الجمال فائقة الذكاء واسعة الثقافة ، حادة النزوات ، مغامرة حتى المخاطرة ، و معشاقة حتى التهتك ، تحدّت قيم مجتمعها وأعرافه ، وجهرت بالتحدي غير مصغية الى عاذل أو لائم أو مستنكر ، ومع ذلك فإن السيدة إلفة روت سيرة هذه المرأة بطريقة جعلتنا نرق لها ونعجب بها ونلتمس لها الأعذار في سقطاتها • لقد تساءلت ، بيني وبين نفسي ، عما دعا أديبتنا إلى أن توحي إلينا بالتغاضي عن أخطاء الليدي جين وآثامها وهي لم تقصر في تعدادها لنا • أتراها عصبية الجنس هي التي ساقتها إلى محاولة إقناعنا بأن المسؤولية في انحراف المرأة ، في كل الظروف والأزمان ، تقع على الرجل الذي يدفعها بسوء فهمه أو بسوء تصرفه إلى ذلك الانحراف ؟ أم ترى أن قاصتنا الكبيرة ، مدفوعة بمزاجها الأدبي وروحها الفنية ، وجدت في الليدي ديكبي نموذجا إنسانيا متميزا فاستهوتها شخصية هذه الامرأة الجميلة والذكية وساقها ذلك إلى أن تسرد علينا أخبار مغامراتها ورحلاتها وزيجاتها بهذه الروح المتسامحة والنظرة المتعاطفة ؟ أم أن دافع هذا التسامح كان التطور الذي لحق سلوك هذه السيدة النبيلة في مولدها الأفاقة في حياتها ، في الشطر الأخير من عمرها ، حين هجرت موطنها أوروبا تاركة وراءها ما اقترفته فيها من أخطاء ، وجاءت إلى دمشق فسكنتها وأصبحت لنا " كنة " فيها ؟

ذلك أن الليدي آلنبرو ، البارونة فينيفن ، الكونتيس ثيوتوكي ، آثرت بعد أن ملت حياتها العاصفة ، وكانت لا تزال في زهوة عمرها في الخامسة والأربعين أو السادسة والأربعين ، آثرت أن تهجر السكن في قصور لندن وباريس وميونيخ وفينا وآثينا ، وأن تجعل مسكنها الأخير عندنا في سورية • كما آثرت على الأزواج من ذوي الدم الأزرق ، لوردات وبارونات وكونتات ، وعلى العشاق من ملوك وأولياء عهد ، آثرت على كل أولئك فارسا عربيا جميلا في خلقه نبيلا في خُلقِه ، هو الشيج مجول المسرب من عشيرة السبعة العنزية • تزوجت هذا الفارس الجميل والنبيل ، وطلقت أوروبا وحياة الطيش والترف فيها إلى حياة طاهرة نقية بين مضرب بدوي في بادية الشام ودار عربية في حي مسجد الأقصاب في دمشق ••

قد يكون هذا أو ذاك أو السبب الآخر هو مادفع السيدة إلفة إلى أن تعطف على الليدي جين ديكبي ، وأن تقنعنا نحن بالعطف على هذه الانكليزية المغامرة ، وبالتغاضي عن كل مااقترفته قبل زواجها بمجول المسرب ، وهذا هو اسمه الصحيح وليس كما تسميه بعض المصادر الأجنبية عبد المتجول المسراب • نعم ، لقد أصبحت الليدي جين زوجة وفية قانعة في كنف فارسها العربي ، تشاركه في غزوات قبيلته للقبائل المعادية وتعود إلى مضربها فتطهو له بيدها الطعام وتمسح عن وجهه الغبار وتغسل له قدميه قبل أن ينام • وحين يؤوب معها إلى دمشق كانت تعيش معه حياة حضرية كحياة سكان هذه المدينة العربية المسلمة في الدار التي بنتها وزرعت فيها شجرة المنوليا • ولهذا أطلقت أديبتنا على الليدي جين اسم زهرتها المحبوبة : زهرة المنوليا •

المنوليا •• أعود إلى تذكر مازودتني به مراجعي عن هذه الزهرة وعن شجرتها : هي نبتة رائعة ، منظرها الأنيق وأوراقها المتينة في قوامها ، البراقة اللامعة ، وأزهارها الكبيرة الناصعة البياض ذات الرائحة العطرة ، تجعلها مرغوبة بكثرة

كنبات زينة في الحدائق والمنتزهات ٠٠ تريدين الصحيح يا سيدتي ؟ على الرغم من كل ماتحدثت به لنا عن الليدي جين ديكبي بعطف ومحبة ، وما أوحيت به إلينا عن تسامح عنها ، أجدك قد أخطأت في تسميتها باسم زهرتها البريئة الطاهرة ، الناصعة البياض ، العطرة العبق جدر بهذا الاسم أن يطلق عليك أنت يا سيدتي الكريمة ٠ أنت النبتة الرائعة ، النبيلة المنظر والمخبر ، والزهرة الناصعة البياض التي تفعمنا نحن أصدقاءها ومعارفها وقراءها بعطر الفن العبق والتي تزين بإبداعها حدائق فكرنا ومنتزهات ثقافتنا ، تحياتنا إليك يا منوليا دمشقية اصيلة غير مجتلبة ولا مهجنة ، وكل تمنياتنا بأن يمتعك الله بالصحة ويمنحك القوة ، وبأن يديم لك التفوق في الابداع والعطاء ، والشكر بعد ذلك كل الشكر إلى الصديق الكريم عميد دار الثقافة الاستاذ مدحة عكاش ، الذي أتاح لنا هذه المناسبة لنقول فيها كلماتنا البسيطة عنك ، متضمنة قناعات تفكيرنا وعاطفة قلوبنا٠

والسلام عليكم ٠

د٠ عبد السلام العجيلي

الأستاذ محمود تيمور

لقطات من المقدمة التي كتبها الاستاذ محمود تيمور لكتاب " قصص شامية " لإلفة الادلبي الصادر عام ١٩٥٤ عن دار اليقظة :

سوف يفرغ القراء من هذه المجموعة ، وقد اختلفوا أذواقا وأهواء تتفاوت مراتب اعجابهم بهذه القصة أو تلك ، لكنهم سيتفقون جميعا على أن كاتبة قصصية قد بزغ نجمها في أدبنا العربي الحديث ، وإن هذا النجم قد أخذ يبعث في عرض الأفق ضوءه الوادع اللماح

خير مافي هذه الاقاصيص أنها طراز خاص وشخصية مستقلة ، فيها تصوير للحياة الشرقية ، وتعبير عن العقلية الشرقية فهي شرقية الجو ، شرقية الروح ، شرقية النزعات والسمات ٠

صاحبة هذه المجموعة أمينة الوحي ، صادقة الإلهام تستمد من روحها وعاطفتها ما طاب لها أن تستمد ٠

إن التمهيد للمواقف وبراعة السبك ودقة المعالجة تريك هذه المصائر طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير وبذلك يبدو الفن القصصي في إطار خلقي لا ينبو عنه المتزمتون ومن لوامع هذه الاقاصيص الافتتان في بدء الاقصوصة وختامها ، فالكاتبة حريصة على أن تحسن استقبال قارئها حرصها على توديعها

محمود تيمور

قيل قديما : لا يفهم الرجل إلا الرجل ، ولا تفهم المرأة إلا المرأة ٠٠ ولعل هذا القول صاحب نصيب من الصحة ، ولكن له في الوقت نفسه نصيبا من الخطأ ، فكم من رجل وضعته أمامنا أنامل امرأة بكل سماته ومعالمه وخوافيه وبواديه ، وكم من امرأة وضعتها أمامنا يراعة رجل بكل أحاسيسها وواقعها ونوازعها وتطلعاتها ولكن يبقى للأعم الأغلب دوره وحكمه ٠

وها نحن أولاء مع جولة نسائية في أجواء الأدب القصصي النسائي لنرى أي الجانبين أصح٠٠

ها نحن أولاء مع الأديبة القاصة وداد قباني صاحبة المجموعتين القصصيتين : إليك يا ولدي - الصوت البعيد ٠٠ في نظرة شمولية الى إلفة الادلبي وعالمها القصصي ٠

كلمة الأديبة وداد قباني

في هذا المساء الجميل ، تحية ود ، وطاقة ورد ، لراعية الاحتفال الدكتورة السيدة نجاح العطار ، وزيرة الثقافة ، وللسيدة الأديبة الكبيرة إلفة الإدلبي ، التي نحتفل بتكريمها اليوم ، وللأساتذة المشاركين ، وللجمهور الكريم ، ولكل مثقف حقيقي يزج بكامل كيانه في إعلاء صرح الثقافة في هذا القطر ، وأخص بتحيتي المثقف الكبير الأستاذ مدحة عكاش ، الذي أخلص للكلمة وللعاملين في رحابها ، فكان تكريم الأدباء أحد مواقفه الكبيرة في خدمة الثقافة الوطنية والإنسانية في هذا القطر الحبيب ٠

أيها الحفل الكريم ،

دمشق تفخر دوما بعظمائها الأماجد من قادة سياسيين وعلماء ومفكرين ، وهي إن كانت تباهي برجالها الكبار وتقيم لهم التماثيل وتسمي مدارسها وشوارعها بأسمائهم ،

فهي ما تزال تعبق بأريج ياسمينها وورودها وأزاهيرها ، تختال اليوم بياسمينة كبيرة معطاءة انتشر عطرها على مدى نصف قرن من الزمن ٠

إلفة الإدلبي

قال أحد النقاد: أضع يدي على قلبي حين أدعى للتحدث عن امرأة ، وخصوصا إذا كانت تجمعني بها معرفة أو مودة ٠٠ أما أنا فأقول : غمست قلمي في قلبي وأنا أحاول أن أغوص في أدب السيدة إلفة الادلبي ، وصعب على امرأة أن تتحدث عن امرأة بشكل موضوعي ، إذ غالبا ما تقع فريسة العاطفة الايجابية أو السلبية ، ولكن الدارس لأدب السيدة إلفة الادلبي يقف أمام عدة ظواهر ٠

توقفت طويلا وأنا أقرأ روايات إلفة الإدلبي ، لاسيما وأنها وجه من الوجوه البارزة في عالم الأدب ، وتعتبر بحق رائدة من رائدات الحركة الادبية في سورية منذ الخمسينات وحتى اليوم ٠

صدر لها في منتصف الخمسينات أول مجموعة قصصية بعنوان (قصص شامية) ثم في عام ١٩٦٣ مجموعة قصصية ثانية (وداعا يا دمشق) وفي عام ١٩٦٩ كتاب (المنوليا في دمشق و أحاديث أخرى) وفي عام ١٩٧٠ صدرت مجموعتها الثالثة (ويضحك الشيطان) وفي عام ١٩٧٦ صدرت المجموعة الرابعة (عصي الدمع) ٠ ثم كانت رواية (دمشق يا بسمة الحزن) و(حكاية جدي) الرواية الاخيرة عام ١٩٩٠

ترجم أدب السيدة إلفة الادلبي الى الفرنسية والروسية والصينية والمجرية ٠

وقد حرصت الكاتبة الفة في مجمل رواياتها على رصد الواقع الشامي وتطوراته ، حيث هي دمشقية الاصل ، والروح ، ذات أسلوب سلس عذب ، رضعت حبها للشام منذ ولادتها في دمشق عام ١٩١٢ من أبويها الدمشقيين ، وقد بدا اهتمامها بالأدب في المرحلة الاعدادية ، رغم أنه لم يتح لها متابعة التحصيل العلمي المنتظم فتركت المدرسة وهي في مرحلة التعليم الاولى ، غير أنها تابعت ثقافتها بشكل ذاتي وأجهدت نفسها لتحصيل ثقافة متنوعة وشاملة فكانت بحق رائدة من رائدات التعليم الذاتي ٠

قرأت لكبار الأدباء من كتاب وشعراء

وتقول عن نفسها : (أنا من الجيل الذي عاش أحداث الثورة السوربة في مطلع تفتحه على الحياة وقد اشترك من أسرتي خمسة رجال واستشهد من اسرتي من أولاد عمي عمر وشفيق)٠

وهي ان اختارت البيئة الشامية الأصيلة - تحديدا- مسرحا لقصصها، فذلك لاعتقادها ان الكاتب عندما يكتب عن بيئته يكون أكثر صدقا ، وبخاصة أنها تظهر من التقاليد ما يشعر القارىء أنها معها الى الحد الذي يحفظ للبيئة طابعها الخاص، وضدها حتما حين تمنع المرأة من الانخراط في العمل الاجتماعي ٠

وإلفة الادلبي أديبة التزمت بتصوير ما تعتقد أنه الصدق والواقع ، من خلال معالجتها للأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت على الوطن ٠ وأعمالها في الواقع ذات منطلقين : المنطلق القومي حيث عالجت الاحداث القومية التي

مرت على الوطن العربي السوري كالثورة السورية والفدائيين والثورة الجزائرية وقضية فلسطين ، والمنطلق الاجتماعي حيث ركزت فيه على وضع المرأة وأوضاعها الاجتماعية متخذة من البيئة الدمشقية مسرحا لأعمالها كما نوهت آنفا ٠

تقول السيدة الفة في إحدى الحوارات الصحفية عن بداياتها :

(تتلمذت في فجر شبابي على رائد القصة العربية الاستاذ محمود تيمور فقرأت كل نتاجه) ٠

بالمقابل يقول محمود تيمور في مقدمته لأولى مجموعاتها القصصية (قصص شامية):

(خير ما في قصص الفة الادلبي أنها من طراز خاص فهي شرقية الجو والروح والنزعات ٠)

أما مارون عبود الناقد الراحل فيرى أنها استطاعت أن تصور لنا في اقاصيصها أعماق نفسية المرأة وبداوتها ونزواتها٠

الطابع الغالب على نتاج القاصة الادلبي هو الطابع المحلي وقضايا البيئة المحلية ، والدمشقية بشكل خاص ، وهذا واضح في كل رواياتها تقريبا ، حتى قبل أن تقرأ تفاصيلها ، فالعناوين قصص شامية - وداعا يا دمشق - دمشق يا بسمة الحزن - المنوليا في دمشق وغيرها ٠٠ تؤكد هذا الطابع ، وهذا ما تبرره السيدة إلفة في حوارها مع الاستاذ اديب عزت حيث تقول :

(ان تجربتي الخياتية في المجتمع المحلي الدمشقي ، والذي كان نهبا للتنازع بين الصبوة الى الجديد ، والولاء للقديم ، هي المعين الأول لأدبي كما أن مطالعاتي الغزيرة في القصة والرواية رفدت تجربتي وأعطتها لونا جديدا وبعدا باتجاه الفكرة الانسانية) ٠

ويحق لنا أن نتساءل ٠٠ الى أي مدرسة أدبية تنتمي هذه الكاتبة ؟ وقد أبدعت في وصف البيئة المحلية جملة وتفصيلا ٠٠ ولمن تدين بالنجاح الذي حققته : اللواقعية أم للرمزية ؟ تجيبنا بقولها : (إن تفاعل القارىء مع أي عمل أدبي هو مقياس نجاح هذا العمل ٠)

هذا يعني أن النجاح لا يكون في مدرسة دون أخرى وقد جاء على لسانها في كتاب أدب القصة السورية للاستاذ عدنان بن ذريل : (إن القصة او الرواية أو أي أثر أدبي آخر يبلغ الجودة ، والنجاح ، في اعتقادي حين يجعلني أتفاعل معه ، وأنا أقرأه ، فإذا انتهيت منه وترك في نفسي اثرا لا يمحى لا يهمني بعد ذلك من اي مدرسة هو) ٠

أما عن رأيها في الأدب فتقول :

(ما اريد قوله باختصار ، الأدب ليس رؤية أحادية معزولة عن الواقع ، كما أنه ليس انعكاسا مباشرا لهذا الواقع ، إنه كما أراه وأؤمن به ، رؤية وموقف وسلوك ٠ رؤية تفيض على الواقع ، وتتملى تفاصيله ، وموقف يحدد لنفسه حق مناقشة هذا الواقع وتقويمه ايضا ٠ وسلوك يتمثل في سيرة حياة وعطاء الأديب الذي يمنحه حق الولوج لأفئدة الناس ، وتوجيه مسار حياتهم ، وأفكارهم ، ومصائرهم) ٠

وعندما سئلت السيدة الفة عن صورة المرأة العربية اليوم وهل هي راضية عنها أم لا أجابت :

(إنها لا ٠٠ ونعم بوقت واحد ٠٠ إنها نعم لاعتقادي أن المرأة قد تغيرت بالتأكيد ، المرأة العربية قطعت مرحلة لا بأس بها ، ففي ايام شبابي أنا وبنات جيلي ما كنا لنحلم أن نرى اليوم الذي تواكب فيه المرأة الرجل في المدرسة والجامعة والوظيفة والحياة بكل مستوياتها ، بل فوق ذلك أراها اليوم تبزه في ميادين كثيرة ٠ ومع ذلك لم يتحقق للمرأة كل ما رغبته لها ، ولن يكون لها ذلك ما لم تتسلح بالعلم والوعي وبالمثابرة في هذه وتلك)

.. أما حول الأمية المتفشية في صفوف النساء فتقول : (أنا لا تخيفني أمية المرأة الا بقدر ما أراها العامل الأول في خضوع المرأة ووقوعها في شرك التقاليد البالية ، وسوء تقدير الأمور ، ومن هنا ، أرى نفسي مع المرأة القوية الواثقة ، وهذا طبعا لا يعني أني ضد المرأة الضعيفة ، ولكن ضد ضعف المرأة في أي صورة تبدى هذا الضعف) .

ومع خروج المرأة إلى خضم الحياة الاجتماعية واشتراكها في كثير من المهام الوطنية والانسانية ، كان ميدان الأدب أحد هذه الاسهامات التي راقت لبعض المبدعات من نسائنا وفي اعتقادي أن ولوج المرأة عالم الأدب وإسهامها من خلاله في معالجة قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية دليل مباشر على لياقتها الذهنية وصحتها النفسية وقدرتها على التصدي لمتطلبات العصر . فكيف إذا نجحت المرأة في هذا المجال ؟ واثبتت وجودها ولاحت كنجم ساطع كالسيدة إلفة الادلبي ..؟

وقد حاول بعض المفكرين ومن وجهة نظر خاطئة الى الابقاء على عزلة المرأة الفكرية بدل اندماجها الكامل في الحياة الاجتماعية والثقافية بمقولات تتحدث عن ادب لا تكتبه الا المرأة أطلقوا عليه (الأدب النسائي) يعالج مشاكل المرأة وخصوصية مشاعرها وأحاسيسها ، وما الى ذلك من آراء ، فتصدت السيدة الفة لهذه المقولات بفهم عميق ورؤية واضحة لهذه المغالطات الفكرية اذ تقول :

(أنا لا أعتقد أن هناك أدبا نسائيا وآخر رجاليا ، بل هناك أدب فقط ، فالأديب عندما يبلغ درجة من النضج يستطيع أن يتقمص شخصية أبطاله ، فيضع نفسه مكان الشخصية تماما ، وبذلك يستطيع الرجل أن يكتب عن المرأة وتستطيع المرأة أن تكتب عن الرجل) .

ان ما يدهشك في أدب الفة الادلبي تلك اللغة البسيطة الواضحة التي تنقلك الى عالمها المقصود بوضوح وبساطة تكون أقرب الى واقعية حقيقية من خلال استعمالها لألفاظ وكلمات اعتقدنا أنها عامية لكثرة ما سمعناها وألفناها في حياتنا اليومية الا أنها بالتمحيص هي كلمات وتعابير عربية صحيحة .

أما النقاد فقد نظروا إليها كأديبة رائدة ومتفوقة رصدت الواقع بدقة وأناة . يقول عدنان بن ذريل عنها :

(الحرص على رصد الواقع الشامي وتطوراته ، في سورية العربية اليوم ظاهر في أدب السيدة الفة الادلبي ، وقد ربح الادب العربي السوري الحديث منه نتاجا واقعيا ، دقيقا ، وأمينا ، على هذا الواقع ، لنقل الشعبي المتطور)

أما الأستاذ عبد الكريم كرمي (أبو سلمى) فيقول : (أنا من الذين يحبون أن يستمعوا الى السيدة إلفة الادلبي وهي تلقي قصصها بلهجتها المشوقة وصوتها العذب وأسلوبها الحلو) وقال أيضا :(يعجبني في قصص الفة الادلبي حلاوة السرد وبساطة الاسلوب وعدم التعقيد في الافكار ، وليس الأمر كما قال الدكتور الصديق ابراهيم الكيلاني من أن شأنها شان الجدة الكبيرة التي تقص على أحفادها)

أما الدكتورة ناديا خوست فتقول عن أدب الفة الادلبي (يميز الفة الادلبي انها توحد الأحداث والشخصيات بالمكان المعماري وتجعل البيت الدمشقي من بيئة القصة ، فالبركة مركز الفتيات في العرس والبيت الزوجي ينكشف بالعرائش والازهار ، والزغاريد تسجل الزواج في ارض الدار ، ويصعب أن نتصور قصص الكاتبة في بيئة معمارية أخرى وكأن الكاتبة قررت وهي تختار تسجيل الماضي للأحفاد ، أن تكون رسامة

للمكان وكاشفة نغمات العمارة في ثنيات الطباع والاشخاص وأحداث الحياة) .

ومأمون ضويحي يعلق على أدبها فيقول : (تشدك كتاباتها الواقعية وتمكنها الواضح من اللغة ومن رسم الشخصيات ولعل من أهم الصفات التي تميز أدبها، صفة الغوص في أعماق نفسيات الشخوص)

وإذا كان الحديث عن المرأة يسوقنا دوما الى التطرق لجوهر الحياة ، ليس فقط لدراسة الواقع الذي نعيشه بسلبياته وايجابياته ، بل في محاولة لدفع عجلة التقدم الاجتماعي ، ولم يعد هناك من أحد ينكر أن المرأة هي نصف المجتمع وهي الأم والمربية ، وهي الحبيبة والزوجة ، وهي الابنة والاخت ، والزميلة والصديقة التي تشارك الرجل في كل أعباء الحياة داخل البيت وخارجه ، وبالتالي لا يمكن مناقشة أي مسألة جوهرية سواء كانت وطنية او اجتماعية او سياسية بمعزل عن مناقشة وضع المرأة والعكس بالعكس فلا يمكن لنا التطرق لحرية المرأة وحقوقها دون التطرق لحرية المجتمع وحرية المواطن ومن هذا المنطلق استطاعت الفة الادلبي أن تثبت أقدامها في عالم الادب ليس فقط من خلال حديثها عن دمشق القديمة والحديثة وعاداتها وتقاليدها ووصف بيوتها المزركشة بعرائش الياسمين والتي تفوح منها رائحة النارنج والكباد ، وباحاتها التي تمتلىء بتنكات الفل والريحان ، تطرز لنا بحروفها قاعاتها الدمشقية الكبيرة وبحرتها التي تتوسط كل بيوتها تقريبا وتفاصيل الدار العربية والليوان والطابق الأرضي وما يحويه من قاعات وغرف تتناثر حول أرض داره الكبيرة ، والدرج الذي يصعد بك للطابق الثاني حيث العلية والمشرقة والطيارة ، وقصص الحب التي تنسج خيوطها بعمق الليل أنداء الفجر حيث يتحد صوت المؤذن بآهات العشاق بين الشبابيك المتعانقة في الحارات القديمة ..

وإلفة الادلبي إذا كانت وصلت لما وصلت اليه من مكانة أدبية مرموقة .. لم تعدم بعض الآراء السلبية التي تحدثت عن بعد أفكارها عن الواقعية ، أو عن الشطحات غير المعقولة حين أغفلت الكثير من المشاعر الإنسانية الصحيحة أو عمدت إلى تشويهها من خلال رواياتها ، وذلك لا يعتبر عيبا أو إنقاصاً لقيمتها الأدبية فلكل عمل مهما كبر أو صغر فضائل ومثالب .

وداد قباني

الشاعر شوقي بغدادي

كتب شوقي بغدادي عن كتاب قصص شامية في جريدة الاسبوع العدد ١٢ - ٦ آذار ١٩٥٥ :

أعترف أنني قرأت معظم القصص دون أن أعدد الصفحات الباقية ، فالطرافة والتشويق ، والزوايا التي تنظر منها القصاصة الى الحوادث والناس ، كل هذه الاشياء كانت ممارسة بذكاء وود وموهبة .

الحقيقة أن هذه المجموعة تضع حجر اساس تبشر بخير كثير قايل مهما قيل فيها .

أيها السادة ..

ما زلنا مع عالم الأديبة القاصة ألفة الادلبي بكل ما فيه من طرز شرقية خاصة بأجوائها وأبعادها وآفاقها ونزعاتها وفي مقدمتها ذاك الحرص على رصد الواقع الدمشقي وتطوراته من خلال لغة بسيطة واضحة ، ومن خلال واقعية حقيقية .

ولعل للدكتور الأديب القاص " بديع حقي " لقطات طريفات ووقوفا عند جزئيات ودقائق لا تتبين إلا للمتخصص الدؤوب من طرف ، ولذاك الذي أدمن حب دمشق وعشق دمشق من طرف آخر ..

أيها السادة ..

مع الاستاذ الدكتور بديع حقي

كلمة الدكتور بديع حقي

إنها تتراءى ، دوما في نظري وخاطري ، تلك المرأة ذات المشاعر المرهفة والمحيا الودود ، تنثال من فمها ابتسامة رقيقة ، كما المطر يسطع من زهرة منورة ، لتترفق بوادرها صغيرة ، لكنها زاخرة بكل ما يختلج به قلبها من معاني الأنس والرحمة والحنان ، ثم تنساق هذه الابتسامة على قسمات وجهها النبيل ، جدولا رقراقا ، وتنسمت طريقها منسابة الى هذا البحر الرحب العميق من عينيها ، تنفسح في مداه ، سماء داغستان الصافية ، الزرقاء ، وتضيء في مضربه شمس بلادي الدافئة المتلألئة .

بلى ، في منسرح نظراتها الطيبة ، الحنون، تتعانق ذرى جبال القفقاس الذاهبة عاليا في الفضاء وجبل قاسيون المزهو بقمته التياهة ، لتنهمر من همس جفونها المغتمضة ، المفترقة ، نظرات الالفة النقية ، الشفافة ، كما لو أنها تؤكد اسم صاحبتها (ألفة) وما يزخر به هذا الاسم من دلالات الرأفة والمودة .

وظلت جبال القفقاس مهوى حنين نظراتها ، متحدرا إليها من جمرات حنين أجدادها لأمها إلى تلك الجبال الشاهقة ، التي نعمت فيها بعد بنظرات (ألفة) اللاهفة ، الندية كما ظل جبل قاسيون على مرمى دان قريب من هذه النظرات ، فقد تفيأت (ألفة) في سفحه طفولتها الهانئة وشبابها الناضر وكهولتها الناضجة لأنها آثرت أن تقيم دوما في جانبه المطل على مدينتها الحبيبة الغالية : دمشق .

وكأني بهذه المرأة التي يرقى نسبها من أبيها الى أسرة دمشقية الأصل ، ومن أمها ، إلى أسرة داغستانية النجار ، تؤكد المقولة المعروفة عن عبقرية الانسان المتحدر من عرقين واشيين بخصالهما المتميزة وطبائعهما المتفردة . متناغمة في عطفي (ألفة) كما ولا أروع وقد انساق محياها النبيل ، تعكس ملامحه سحر الشام وداغستان معا ، كما انساق الى خلقها شمائل أهل دمشق المهذبة ، وسرى الى طبعها ، مرح

خفي ، واش بالتفاؤل ، لعله نحا إليها من أمها وخالها (كاظم الداغستاني) رحمهما الله ، وكان الدكتور كاظم ، إلى جانب ثقافته وعلمه ، شعلة متقدة من اللطف والظرف وخفة الروح ، بل إنها تؤكد المثل الشامي المعروف (الانسان ، إن مال، فثلثاه للخال) ، ومن يدري ؟ لعل أكثر الثلثين من ملامحها وطبعها قد أفضى إليها من خالها الحبيب الراحل ، ولن أنسى أبدا ، يوم دعتني أختي (الفة) منذ قرابة أربعة عشر عاما ، مع ثلة من الأصحاب ، الى الغداء في مطعم بعين الفيجة ، تكريما للصديق الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي ، في ذلك اليوم كانت ألفة تمسك بخيوط دعابات خالها وأملوحاته الشائقة ، تذكرته بها ، ليمتح من معين ذكرياته السخي ، ويتشقق حديثه فنونا ويتقطر ألوانا من البهجة الخالصة .

حين تعرفت إليها ، في الخمسينات ، بعد أن القت قصة من قصصها الشامية ، في منتدى أدبي ، قلت في ذات نفسي : (سيكون لهذه المرأة شأن كبير ، في أدبنا المعاصر) وقد تسنى لها في الواقع ، أن تنفض في أدبها كل هموم المرأة السورية ومشاكلها وأحلامها ، لتفضح رواياتها وقصصها الممتعة ، صدقا وحنانا وتترقرق بأسلوب سهل ممتنع ، كما لو أنه ينبجس من قلبها السمح ، لتتلقفه شفتاها وتريقه في أسماعنا شهدا حلالا ، متجاوبا مع ثرثرة البحرة اللاغية في أرض الديار ، من بيوتنا ذات الطراز الدمشقي الأصيل ، معانقا قبلات الياسمين البيضاء ، المنهمرة من شجرته المعششة، المتكئة على الدرابزين، ندية ، متضوئة بلعاب الشمس ، مناسما العطر الفاغم من اصص الورد والفل والبغونيا، المنسقة المصفوفة الى جانب الجدار الظليلة .

كل هذا وأحلى منه ، يتمشى ويسري في لباب كلماتها البسيطة المترفقة - أكاد أقول الساذجة -لتبسطه الفة الادلبي ، برقة شفافة وتواضع جم ، فإذا ما راق لك أن تثني على ما استطاب سمعك من كلماتها المتفسحة لوحة حميمة ، صادقة عن مجتمعنا الشامي ، احمر وجهها ، حياء ، كما لو أنها ما تزال فتاة خفرة خجولة ، متمسكة - حتى بعد أن غزا الشيب فوديها- بطراوة صباها الفينان وبراءته وطهره .

بلى ، كل هذا وأروع منه وأوفى دلالة ، أن هذه الكاتبة أسهمت ، بقصصها ورواياتها ، المتنوعة من نفسيتها الكريمة ، المتواضعة ، في تحرير المرأة السورية ، وبما أوحت به محاضراتها الجريئة ، المتغلغلة في حنايا القلب والفكر لتحمل كل فتاة من بلدنا على التزود بالعلم والثقافة وعلى التحرر وكسر الاغلال التي ترسف فيها .

ولن أنسى أبدا ، أن كلماتها الحلوة - كانت تواكب - مذ شرعت تكتب وتنشر - منبلج كلماتي ، لنضحي معا من جيل واحد من الكتاب السوريين المعاصرين ، لا ولن أنسى يوم اقامت في دارها ، ندوة ، بمناسبة فوزي ، اثناء الوحدة ، بجائزة الدولة للقصة ، على كتاب (التراب الحزين) ودعت اليها كبار الأدباء والنقاد، لتقويم هذا الكتاب وتحليله ، وقد أتيح لي ، في مابعد ، والاعتزاز يملأ نفسي ، أن نسهم معا، في ندوات قصصية مشتركة ، لتسظل كلماتي بكلماتها المترعة ماء وطلاوة ، وكان لأختي (الفة) الفضل الاكبر في عكوفي على ذكرياتي المسربلة بطيف أمي رحمها الله ، فضمها كتاب (الشجرة التي غرستها أمي) الذي نشره اتحاد الكتاب العرب ، بعد أن طلبت إلي إلقاء محاضرة بمناسبة عيد الأم ، في الندوة الثقافية النسائية ، وكان لها من ثم الفضل في إعادة نشر هذا الكتاب ، الذي أعده آثر مؤلفاتي الى قلبي - بحلة قشيبة جديدة ، بإشراف الندوة الثقافية النسائية نفسها .

أجل هذه هي المراة الكاتبة ، التي -

استطاعت أن تشق ، بما تملك من جراة وموهبة ونضج وثقافة ، طريقها اللاحبة ، الصعبة معا ، لتضحي وجها رائدا ، ناضرا ، مشرقا من بين أروع وجوه أدبنا السوري المعاصر وقد تأتى لها برواية (حكاية جدي) أن تخلد بلد جدها لأمها ، داغستان ، فجلت طبيعتها الساحرة ونضالها في سبيل الحرية ، بعد أن حملها الوفاء لبلد أمها على زيارتها مع ابنتها السيدة ليلى وصديقتها السيدة احسان بيات ، لتسعد برؤية بلد أجدادها لأمها ، وتسنى لها أن تريق ذوب مشاعرها الصادقة ، الوفية ، في تلك الرواية الجميلة الرائعة وفي كتابها (نفحات دمشقية) لتذكر في صفحة منه كيف ناسم خاطرها ، طيوف أمها وخالاتها وأخوالها ، ممن لم يتفق لهم ان ينعموا بما نعمت به هي من دونهم ، بزيارة أرض أجدادهم ، فتدفقت دموعها ، غزيرة ، طيعة ، أمام مضيفيها الداغستانيين ، فأبكتهم جميعا ، وإذا أنا أكفكف ، إما صافحت عيناي كلماتها الوفية ، الندية ، دمعة موارة لم أستطع زجرها ، فاطردت على وجنتي لأبكي مع أختي (الفة) ، ومن بين دموعي المترقرقة ، المنسابة من مقلتي ، كنت أفكر في مشيئة الله وقدره وقضائه، وحكمته ، كيف نفى السلطان العثماني محمود الثاني جدها الشيخ محمد حلبي ، وقسره على مغادرة وطنه داغستان ، مع أسرته ، بسبب نضاله لتحريره من الاحتلال الروسي الغاشم ، ليقيم نهائيا بدمشق ،مداريا ، عمره كله ، لواذع الحنين الى بلده البعيد ، وأنه لو بقي فيه ، لما تسنى لحفيدته نجيبة الداغستاني رحمها الله ، أن تتزوج من ابي الخير عمر باشا رحمه الله ، ولما ظفرت دمشق بابنتها البارة ، المتحدرة من هذا الزواج المبارك ، ولما سعدنا نحن بهذا الكنز الأدبي العظيم الذي يدعى (الفة عمر باشا لادلبي) ٠

د ٠ بديع حقي

الأستاذ عبد المعين الملوحي

كتب الأستاذ عبد المعين الملوحي في مجلة الثقافة في تشرين الأول ١٩٩١ دراسة وافية عن رواية حكاية جدي حلل فيها أحداث الرواية تحليلا عميقا وختم دراسته بهذه الكلمة :

أولا - أنصح من يريد قضاء نهاره كله او سهر ليله كله في متعة متصلة ، ومن يريد أن يختبر رقة قلبه ، وصدق عاطفته ، ومن يريد أن يشرب من دمع عينيه أن يقرأ حكاية جدي ، وأنا اضمن له أن يشعر بما شعر به هذا الشيخ الذي كتب بحثا مبتسرا عنه

ثانيا - لقد نقلتنا حكاية جدي فعلا من ركام من الروايات التي يتميز أكثرها بالقدرة على الثرثرة الى رواية تحتل القمة في الأدب العربي ٠

عبد المعين الملوحي

ترجمة حكاية جدي الى اللغة الروسية

أيها السادة ..

حفلنا هذا فيه دلالة واضحة على أن الأدب النسائي في قطرنا العربي السوري قد رسخ قدمه في دنيا الفن والثقافة والفكر والمعرفة .. فها نحن أولاء مرة ثالثة مع مربية فاضلة ، وعضوة في الندوة النسائية وجمعية أصدقاء دمشق ، وصاحبة المجموعة القصصية (هانيه) والكتاب النقدي الاجتماعي (لقاء مع عيسى بن هشام) .. نحن الآن مع الأديبة القاصة " أميرة الدرة " في جولة جديدة في عالم الأديبة القاصة إلفة الادلبي .

كلمة الأديبة

أميرة الدرة

قرأت خبرا في مجلة المختار :

سيدة انكليزية تحتفل بعيد ميلادها الثمانين ..

سألها حفيدها : ماذا تتمنين يا جدتي؟

أجابت : لقد قررت أن أتعلم اللغة الصينية .

وبرز أمامي وجه دقيق التكوين ، عينان واسعتان نهمتان لا تشبعان ، ووجه يضيئ بابتسامة مشرقة ، وصوت دافئ واثق يقول : لا شيء في الدنيا مستحيل ..

اعترضت احدى الصديقات : اللغة الصينية أصعب لغات العالم ..

هزت صاحبة الوجه الجميل رأسها بتصميم وأعادت : لا شيء في الدنيا مستحيل ، ولا شيء في الدنيا صعب .

هذه هي إلفة الإدلبي ..

عرفتها جذوة دائمة التوهج .. امرأة لا تعرف التوقف .. ودائما تسير ، لا تمل .. لا تشكو .. ولا تتعب .. وتحمل معها في كل مرة ألتقي بها كل جديد ومفيد ..

ملتقانا في الندوة الثقافية النسائية صباح كل ثلاثاء وواسطة عقدنا فيه إلفة .. تشدنا إليها بحضور مدهش ، وحافظة لا تخون ، وذاكرة وقادة مستجيبة ، وحديث رشيق جذاب حافل بذكريات الماضي .. فننسى ما وراءنا من أعمال ونزداد التفافا حولها .. ويرتفع صوت ريمة كرد علي بحزم : إلفة .. تعالي .. أريدك بكلمتين .. وتعلو ضحكة إلفة وتقول : فهمت .. فهمت عليك .. ولكن الحديث يتعلق بالثورة

السورية .. اتركي ما بين يديك وتعالي اسمعي ، وتسارع ريمة وتنضم الى حلقتنا وتقول : أعيدي .. أعيدي .. من الأول لا أريد أن يفوتني شيء من حديثك ..

ويتوهج وجه إلفة بحماسة غامرة وتبدأ :

أثناء الثورة السورية كنا في دار المعلمات .. وكنت أنا وأختي واربعة من أولاد عمومتي قد التحقنا بالثورة السورية ، وسرت العدوى الى صديقاتي واخوتهم فالتحقوا بالثورة ، وكنا يومها نشتعل حماسة واندفاعا .

انشئ أول معمل للألبسة الوطنية (التريكو) في دمشق فخطر لنا نحن الفتيات المتحمسات أن نذهب إلى المعمل بالسر وبدون إعلام اهلنا من أجل أن يصنع لنا سترات بيضاء يحيط فيها العلم السوري بألوانه الأبيض والأخضر والأسود والأحمر في إطار الكنزة وفي إطار الأكمام.

ورحنا نلبس الملاءة السوداء ونضع السترة فوق التنورة السوداء فيظهر العلم السوري مابين الملاءة والتنورة ..

وعندما كنا نسير في الطرقات كان كثير من الشبان يحيوننا ويحيون العلم السوري .. ولما وصلنا إلى المدرسة تكتلت رفيقاتنا حولنا ورحن يسألن : أين صنعتن هذه السترات .. نريد مثلها .. نريد مثلها .

وكانت الناظرة عين المديرة الأجنبية تتجسس علينا ، وتحمل لها أخبارنا .. فأسرعت إليها بالخبر ..

دعتنا المديرة الأجنبية الى غرفتها وهددتنا بالطرد إن لم نخلع العلم السوري .. لأن ذلك يثير الشغب في الطرقات وفي المدرسة .. وكبر الأمر علينا فبقينا ثلاثة أيام في البيت ندعي المرض أمام أهلنا .. وجاء احد الآباء إلى ابي قائلا : ألا يكفي ما نلاقيه في أبنائنا الشباب حتى تفعل ذلك بناتنا ؟ .. فطلب مني ابي ألا أرتدي ذاك اللباس وأن أذهب فورا : إلى المدرسة..

انتشرت الحادثة في كل أرجاء دمشق وسمع بها الشاعر أحمد الشهابي وكان ملتحقا بالثورة .. فنظم فيها قصيدة ألقاها على الثوار.. وتقول ألفة : ما زلت أذكر منها هذه الابيات :

جاءت ليوم الفحص تلبس حلة
علم العروبة ظاهر بإطار
فرأته بنت السين فاهتزت لظى
ورمته بالمقوت من أنظار
أمرت بطرد فتاتنا رغم الألى
شاموا اباء الحر في إصرار
أخت المجاهد لا يروعك ظلمهم
تحدي الاباء الى النهوض سبيه
هل كان واصف غير ليث اروع
يوم الكريهة إذا أجاب نداك
منك استمد حماسة يوم الوغى
فشرى باثمن مالديه حماك
فارعي رعاك الله يقظة أمة
آمالها عقدت على مسعاك
وابني لها صرح الحياة ممجدا
خير الممالك ما بنته يداك

وترتفع الأيدي تصفق لإلفة ولنضال إلفة ، بينما تروح بعض الأصابع تنقر على الخشب (ماشاء الله .. ماشاء الله) على هذه الذاكرة القوية ..

يقولون : إن النجاح ليس هبة من الله ولكنه انتصار يتم بقدرة داخلية على الإنتاج والعطاء ..

ولا ارى هذا القول ينطبق على أحد كما ينطبق على أديبتنا إلفة .. فقد حققت انتصارا في معركة الحياة بقدرة داخلية على الانتاج

والعطاء.

انقطعت عن متابعة تعليمها بسبب زواجها المبكر .. ولكنها لم تتوقف عن تنمية هوايتها الأدبية ولم تنتظر أبدا أن يزورها شيطان الحظ ، وتابعت هوايتها بدأب عجيب وإرادة ماردة واستمرارية مذهلة ، تعب كل ما يقع تحت يديها من مناهل المعرفة والأدب فأنتجت وأعطت وأغدقت في العطاء وتابعت مسيرتها تتعلق بالحرية تعلقها بالحياة سواء فيما أنتجت من أدب أو في مسيرتها الذاتية ..

كسرت القيود ورمت بسلاسل الضعف وانطلقت من قمقم الحريم وشقت طريقها أديبة مبدعة ورائدة من رائدات النهضة النسائية أيام كانت المرأة ما تزال اسيرة العادات والتقاليد البالية ، واشتركت مع زميلات لها في تأسيس الندوة الثقافية النسائية عام ١٩٤٢ وعاشت حياتها منبرا حرا في طلاقة فكرية وروحية تساندها قوة احتمال عجيبة ومثابرة على الاغتناء بكل ما هو جديد شرط أن يحقق الكرامة الانسانية ..

آمنت بتحرر المرأة إيمانا ثابتا لا يتزعزع وسعت إليه بكل ما تملك من أدوات فنية .

تم لقائي الأول بالأديبة إلفة على صفحات كتاب النصوص الأدبية للصف الثالث الثانوي ، كنت يومها مدرسة في معهد الحرية .

قرأ (فيصل) قصة (ابو حامد الحلاب) بلهجته المثيرة وأدائه المتميز .. وكانت أحداث القصة تدور حول الثورة السورية ..

ران صمت عميق في الصف ولم أعد أسمع إلا تنهدات من الأعماق .. تتبعها زفرات .. وهمهمات نقمة على المستعمر اللعين وعلى جرائمه البشعة ...

اثارت القصة حماسة الطلاب وأذكت فيهم جذوة النضال تزرعهم في وطنهم وتربطهم بأرضهم ووقف (مازن) يسألني : من كاتب القصة ؟

فأجاب (فيصل) إنها الأديبة إلفة الإدلبي .. وعاد (مازن) يسأل من هي إلفة إدلبي ؟

قلت : إلفة إدلبي في طليعة أديباتنا السوريات تكتب القصة والرواية ، لها مجموعات قصصية واقعية قصيرة ورواية طويلة (دمشق يابسمة الحزن)

تستمد مادتها الأدبية من الحياة وتصور العادات والتقاليد الشعبية .. تحب دمشق وتفخر بالدمشقيين .. بأخلاقهم وطباعهم .. بدماثتهم .. بتواضعهم .. وبوحدة صفهم وتعاونهم وبتقديسهم لحدائقهم وغوطتهم .. وتتقن فن مخاطبة الجمهور في الأمسيات الأدبية.

قال سامر بظله الخفيف : لقد أحببت الكاتبة إلفة كثيرا .. وأردف عبد الكريم : إنها رائعة .. فأضاف فيصل وكان أسلوبه يبشر بمولد أديب .. حضرت لها محاضرة بعنوان : المنوليا في دمشق .. لقد كانت مدهشة في حديثها ..

قلت :ما رأيكم أن نشتري كتبها ؟ فلم تبق في الصف إصبع لم ترتفع ..

قلت : حسنا .. سيتولى فيصل ذلك .. قال ولمن نهدي الكتب ؟ أجبت : بالطبع لمكتبة المعهد بمناسبة ...... ولم يدعني فيصل أكمل كلامي فقال : بمناسبة عيد الجلاء ..

خرجت من المعهد ، تتملكني رغبة في أن اتصل بالأديبة إلفة وأن أدعوها إلى أمسية أدبية في المعهد ، ولكنني مع كل اسف لم أجدها في دمشق .. فقد كانت مسافرة في لندن .. في باريس .. في أمريكا .. لا أذكر ..

ودارت الأيام وأصبحت عضوا عاملا في الندوة الثقافية والتقيت بإلفة وعرفتها وهي في القمة ..

عرفتها حين نضج العمر وامتلأت الجعبة

بالتجارب وفاضت بخبرات السنين ٠٠ وفرة في الذكريات ٠٠ سعة في التجربة ٠٠ عمقا في الإدراك ٠٠ ووحدة في النضج وجرأة في الطرح ، ونهما لاينتهي إلى الثقافة الشاملة ٠٠ تعدل ما تعلمته أو جربته محاولة منها للتطور والتجدد ٠٠

فشكاوى الناس في رأيها لا تدل على أن الحظ السيء يتابعهم بقدر ما تدل على أنهم يقتصرون على ذكر ما يحزنهم وينسون النعمة التي منحها الله لهم ٠

وترتيل النعمة أحب إلى الناس من أنين يتصاعد من مخاوفنا وعجزنا ٠

والمتاعب تأتي لأنها ظاهرة مكملة للحياة ولا وسيلة للشعور بالهناءة إن لم يسبقها أو يتلوها شعور بالتعاسة والشقاء ٠٠

وهكذا فقير من كان بلا أصدقاء مهما كان ثريا ٠٠

بهذا الأفق الواسع استطاعت أديبتنا إلفة أن تتقن فن الحياة ومجابهة الحياة بطريقة ديبلوماسية تستند إلى الطاقات الناضجة فيها حتى أتقنت فن التكيف الاجتماعي الى حد الروعة تستخدم كل أساليب التفاهم والتعاون لتصل إلى حقها ولكنها أبدا لا تعرف التهاون فيه ٠

أشربت نفسها حب المرح وبرعت في فن إلقاء النكتة وتفردت فيها ٠٠ وآمنت بجدوى الضحك وفائدته ، فالضحك يتبعه التسامح ٠٠ وقد بلغت فعليا مرحلة التسامح وعرفت كيف تلائم بينها وبين الظروف المحيطة بها ، وعرفت كيف تحقق أسباب الحياة السعيدة الناجحة ٠

تظهر على مسرح الحياة محتفظة بشخصية آسرة جذابة وأناقة متميزة مبنية على ذوق رفيع ٠٠ تفرض احترامها في كل مجتمع تؤمه ٠٠ محدثة بارعة ٠٠ دمثة الخلق ٠٠ كريمة الطبع ، بعيدة عن كل تزمت تتمتع بجاذبية خاصة وتأثير غريب على محدثيها ٠٠ تبذل العطاء بسخاء وتتصرف ببساطة وعدم تكلف ٠٠ وتتميز بتواضعها ٠٠ على سنة من دام تواضعه كثر صديقه ٠٠

كلمة أخيرة ٠٠ إلفة إدلبي امرأة انتصرت في معركة الحياة ، فقد أحبت الناس بمختلف طبقاتهم فأحبوها ، فأغتنت بهذه الدائرة الواسعة التي تحيط بها من الأصدقاء والصديقات ، ونجحت في الامتحان الانساني كما برعت في المجال الأدبي ٠

فيا إلفتنا ٠٠ والالفة لغويا تعني المؤانسة والصداقة ويامؤنستنا ويا صديقتنا ٠٠

باسم الحضور الكرام ٠٠ باسم أسرة الندوة الثقافية النسائية ممثلة في رئيستها الاستاذة المحامية جهان موصلي وباسم أسرة مجلة الثقافة ممثلة في عميدها الشاعر الكبير الأستاذ مدحة عكاش ٠٠ وباسمي ٠٠ أقدم إليك أصدق آيات التهنئة في يوم تتويجك في القلوب ٠٠ أديبة مبدعة ورائدة قدوة في كثير مما يصدر عنك ٠

أميرة الدرة

يا شام وحدك دنيا كلها صور

فالحسن عندك والأنداء والزهر

تسبي العيون جنات فيك ناضرة

في كل دوح تناجي الطير والشجر

والحب والغيد تلهو رقة وحلا

والليل والقمر والأضواء والسمر

شريكة المجد .. ما أسناك أغنية

عاشت ترددها الأجيال والسير

جديدة ، كلما مر الزمان بها

ما بدلت مجدها الأحداث والغير

نعم ..

تلك هي بعض جوانب دمشق الشام ..

وها هو ذا واحد من أبرز عشاق دمشق ورساميها ومؤرخيها ، إنه صاحب "الحديث الدمشقي" المتع ، يحدثنا من القلب عن عاشقة دمشق الكبيرة " إلفة الادلبي " وذيوع نتاجها شرقا وغربا ..

أيها السادة ..

مع "الاستاذ الباحث المحدث "نجاة قصاب حسن" .

كلمة الأستاذ: نجاة قصاب حسن

سيداتي وسادتي ،

الحفل كبير ، والقول كثير ، والوقت قصير ..

وقد قيل لي تكلم أنت عن السيدة المحتفى بها من زاوية أدبها المترجم .

قلت : سمعا وطاعة ، وتركت لغيري كل المجالات ..

غير أنني أعلن أن حبي لإلفة الادلبي ، ست الشام ، لا يحتاج الى ترجمة .

ان هذا الحفل بدأ التكريم ، وما كان له أن ينهيه ، ولسوف تكتب عن أدبها عشرات الصفحات بل المئات ، في كل الزمن الآتي ..

وبعد

عندما كانوا في دمشق يحدثون عن إنسان فصيح فوق العادة والمألوف ، كانوا يقولون انه يسمعه الصم . والسيدة إلفة الادلبي حدثت الناس ، أعربت عنها العين كما هي تقول ، بخمسة عشر لسانا عدا العربية ، ما عدا السهو والغلط ، فقصصها ورواياتها ، ترجم العديد منها حتى الآن الى اللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية والروسية والهنغارية والايطالية والسويدية والبرتغالية والاسبانية والهولندية .

وترجمت كذلك إلى لغات شرقية هي الصينية والشوباشية والاذربكية والتركية والعبرية وفي عدد من هذه اللغات تعددت الترجمات وتكررت ، وفي عديد من اللغات الأخرى التي تنقل على اللغات الأوسع انتشارا لا بد أنه وجدت ترجمات لم نعرف بها ، وما زال رئيس المركز البريطاني في دمشق جادا في ترجمة الرواية الطويلة دمشق يا بسمة الحزن ، وله الشكر .

هذه الظاهرة تدل أولا على مدى شهرة

أديبتنا الكبيرة السيدة إلفة ، ست الشام كما أسميها أنا ، ولكن لها دلالة أخرى أعمق ، فقد كنت دائما أشعر وأقول ان الفكر الحقيقي الذي له قيمة في أية لغة وأي مجال هو الذي إذا ترجم الى لغة أخرى حلا وتألق كما في لغته الأصلية ، وأعطى محتوى مرغوبا وذا قيمة . اغسلوا أي نص من محلياته ومنمقاته ثم أسألوا أنفسكم ماذا بقي منه ؟ هذه البقية هي التي عليها المعول ، فالناس يكتبون ليقولوا شيئا لا ليعموا عن أشياء، الفكر إضاءة لا تعتيم ، وهذه الفكرة هي من ثوابت النقد عندي ، فكل نص أعطانا شيئا فهو ذو قيمة ، وكل نص خرجنا منه دون أن نخرج بشيء ، فهو لا شيء ، ويقول أندرو جيد في هذا الصدد : ليس ما يدلك على مافي لغتك من قصور مثل ان تحتك بلغة أخرى ، وإذا كانت بعض المزاوجات اللفظية تفتننا كما في بعض الشعر الرائج اليوم، فإن أحسن طريقة لنقلها ولنرى هل فيها شيء أو هل قالت شيئا، أن نجرب ترجمتها الى لغة أخرى ، والنتيجة التي أخرج منها من هذه الملاحظة التي تتعلق بست الشام أن فكرا يترجم الى خمس عشرة لغة عالمية على الأقل ، فيه بالضرورة شيء إذا رازه النقد رجحت كفته ، وكل المعادن الثمينة وازنة .

ولكن الترجمة تظل عملا يقارب المستحيل اذا تعلق الأمر بنص أدبي متفوق ، أندره جيد في بحث له عن مسرحيات شكسبير وتقديمها بالفرنسية قال : إن شكسبير دخل منذ زمان طويل في ثقافتنا الفرنسية ، ولكن أشخاص مسرحياته ولو ألفناهم مع الزمن - وفيما خلا هاملت - نراهم يتحركون أكثر مما نسمعهم يتحدثون ، لأننا نعرف كلامهم من خلال الترجمة مع أمة ليس من مؤلف يستحق أن يترجم كما يستحق شكسبير ، وفي نفس الوقت ليس أعصى من نصوصه على الترجمة ، بل قد تشوهها الترجمة ، فالصور عند شكسبير تتقافز وتتراكض فيقف المترجم المسكين حائرا أمام فيضها : يحاول الا يضيع ذرة من غناها فيجد نفسه محمولا على أن يطيل الجمل ويكثر الكلمات ليفي بمعنى مجازي ورد في نص شكسبير بكلمة واحدة .

ان كل ما يدور ويلوب في شاعرية تتدفق في هذا التكثيف الأقصى يتحول عند المترجم الى نابض ارتخى وتصبح الترجمة تفسيرا لا نصا مؤثرا . يرضى عنها المنطق ولكن ينزاح السحر الذي فيها ، وتثقل حركة النص حتى كأنه يزحف ويطلع ليقطع مسافات اجتازها شكسبير بقفزة واحدة .

هذه المعضلة في الترجمة من لغة إلى لغة عرفها سامي الدروبي أحد كبار من ترجموا الأدب الروسي ، فلم يترجم ولكن كتب . كتب ببيان عربي ما كان دوستويفسكي أو تولستوي كتباه لو أنهما كانا يكتبان بالعربية ، لا تحاولوا أن تجدوا كلمة كلمة مافي النص ، ولكن اقرأوا تولستوي عربيا خارجا من أنامل سامي الدروبي

ولأنني لا أجيد الفرنسية ، رجعت بين النصوص المترجمة عن ست الشام ، إلفة الادلبي فوجدت أن الستائر الزرق قد ترجمت بأمانة ، ولكن على طريقة دروبية ، ومهما تفنن المترجم فإنه ينقل الحاديثة والمشاعر ولكن ، مترجمة أيضا ، ليبقى نصه فاعلا .

نحن الآن في مجال تكريم لا مجال تحليل ، فاختصرت ، ولكن ما ذكرته جوهري في نظري حين يتعلق الأمر بأدبائنا الناعمين ، وحتى أظل في نطاق التكريم أقول ان السيدة إلفة ، ست الشام ، هي التي كرمتنا حين سمحت لنا نحن المعجبين بها بأن نلتقي لنتحدث عن حبنا وتقديرنا لخلقها الدمث الصافي وأدبنا الدمشقي الراقي ، إنها واحدة من قلة من الأدباء

تستحق اسم الاديب الدمشقي بقطع النظر عن مكان الولادة ، فيا سيدتي ، أطال الله عمرك ، ومد في وجودك ، وعطائك الدائم في آثار ستبقى دائما مقترنة باسم الشام ، باسم دمشق الشام يا ست الشام ٠

نجاة قصاب حسن

الدكتور ابراهيم الكيلاني

قال الدكتور ابراهيم الكيلاني عن كتاب " وداعا يا دمشق " في مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة الثقافة السنة الثانية العدد السادس آب ١٩٦٣ :

أما الأسلوب الذي يميز قصصها عما سواها من القصص حتى أنها لو اختلطت بغيرها لسهل الدلالة عليها ، فيبدو التزامها لهجة القاص الذي يسرد منذ السطور الاولى الى العقدة وذلك بافتتاحية القصة عادة بعبارة ممهدة ، أو صورة تحضيرية تكثف الجو ثم ينفرج عنها التوسيع ، تقوده المؤلفة ببراعة وتؤدة نحو خاتمته ، وما أبرع الخواتيم ، وما أحلى المطالع في قصص السيدة الفة الادلبي ٠ وقد تميز أسلوبها بأشياء منها استعمال العامية في قالب لغوي فصيح بغية الافادة من طاقتها البيانية ، والشعبية ، ومنها الوالع بالأمثال الشعبية المشحونة بالمعاني ٠ والحكمة القصيرة المستمدة من ذهنية شعبنا وتجاربه ٠

ولعل أجمل ما في أسلوبها تصويرها البيئة الشعبية في انسانيتها وسموها ، وبساطتها ونقاوتها ٠

وحتى في حقارتها ونزالتها مما يجعل لهذه القصص قيمة وثائقية يفيد منها المنقبون عن الأدب الشعبي الفولكلور ٠

القيمة الوثائقية ايضا حملت الكتاب من الشرق و الغرب على ترجمة هذه القصص الى لغاتهم ٠

وأما الطابع الذي ارتضته فعرفت به وعرف بها فهو طابع الشامية ، وأعني بالشامية تلك الخصائص السلوكية ، والعقلية التي تتصف بالنعومة ، وغير ذلك من ولائد حضارة قديمة ، عريقة ، متوارثة ، قد كونت الخلق الشامي ، وجعلته نسيج وحده ٠

ابراهيم الكيلاني

تحية الشعر

أيها السادة ..

روت كتب التراث أن كاتبا أعجب بشاعرة ، وأراد أن يثبت لها أنه في النثر لا يقل عنها في الشعر عطاء وإبداعا ، فارسل إليها رسالة يقول فيها :

أنت معي .. في غدوي ورواحي .. في صباحي ومسائي .. ما انطلقت منك إلا عائد إليك ، ولا فكرت في غيرك إلا كنت الخاطر والباعث ، وما لمحت جمالا ولهجت بتصويره إلا كنت المنطلق والمنتهى ، وأمس حينما كانت الشمس تحتضر وتلقي بقايا دمائها سحابات أشعة على شواطىء الأفق دخلت إحدى الحدائق لأسري عن نفسي وأمتع العين ببديع صنع الباري المصور ، فإذا بك أمامي بخديك الورديين ، وقامتك البانية ، وعينينك النرجسيتين ، وشذاك العطر ..

إلى آخر ما هنالك من كلمات مجنحة ، وعبارات منمقة ، وخيالات مترفة .. ولكن الشاعرة رفضت هذا الكتاب بما فيه ، وأعلنت غضبتها وثورتها ، وارسلت مع رسول الشاعر إليها تقول :

لقد شبه المجنون خدي بالورد
وقال : قضيب البان يشبهه قدي
إذا كان ما يرجوه في الروض عنده
سلوه ، لماذا جاء يطلبه عندي
.

وحين ارتج على أديبنا ، جاءها معتذرا مستغفرا ، فقالت له :

وقالوا : خدها ورد نضير
لقد اثموا بما قد شبهوه
لأن الورد يذبل بعد لمس
وذا يحمر مهما قبلوه
.

نعم أيها السادة ..

تلك كانت حالة الناثر مع الشاعرة ، وما دام ذلك كذلك فلنرهف السمع الى الشاعر يتحدث الى الناثرة ، وها نحن أولاء مع العطر والسحر ، ومع صاحب " بيادر العطر " و " الرياحين " مع الشاعر المبدع " جابر خير بك في تحية الشعر الى النثر .

قسماً دمشق

شعر: جابر خير بك

قسما بحبك ما وجدت سبيلا
إلا إليك ولا ارتضيت بديلا
قسما "دمشق" وما حلفت مواربا
لولاك ما كتب اليراع جميلا
ألهمتني ترف البيان وسحره
من مقلتيك فلن أكون بخيلا
خلق الفؤاد وفي هواك متيم
يشتاق ضمك بكرة وأصيلا
ملكت يداك من العيون سوادها
ومن الضمير فضائلا وميولا
تشفي نسائمك البليلة والشذا
من لاعج القلب المشوق غليلا
ما ضر حسنك لو تمكن عاشق
صادي الجوانح أن ينال قليلا
ما ضر نهرك لو جرى مترنحا
وسقاه من ثغر الحسان شمولا
فأنا المحب ومن زمان غابر
رسم الجمال بيادرا وحقولا
عشق الشفاه الشامسات على الهوى
وسعى ليكشف سرها المجهولا
حور الشام وكل ريم أتلعت
جيدا كأنداء الصباح أسيلا

وقفت تبادله المحبة والرضى

ترفا ، فيلهب ثغرها تقبيلا

فتساءلت خجلى اللواحظ واللمى

والحسن اجمل أن يكون خجولا

عن فارس قهر المصاعب والردى

فقضى برمش جفونها مقتولا

* *

خلق الجمال وفي خمائل جلق

عاش الإله بحسنها مشغولا

فبدت كما تبدو الجنان وريفة

سكرى الدلال وزادها تدليلا

أغراه حسن الغوطتين ودمر

فأقام فيها لا يطيق رحيلا

نصب الخيام الى جوار فتونها

فرحا ، وقطف ثغرها المعسولا

* *

عذرا . " دمشق " إذا كتبت قصائدي

مدحا ، وزدت بيانها تطويلا

فهواك سر في الضمير دفنته

وجعلت قلبي للجمال مقيلا

ووجدت أن الحب عندك خالد

يبقى على مر العصور أصيلا

حملتني الأسفار عنك وكلما

شط المزار بكى الفؤاد طويلا

ولكم رجعت ألم أشتات الرؤى
أشكو البعاد معذبا وملولا
وسدت حبك بين كل جوارحي
وقضيت أحلى العمر عنك رسولا
أكل الأسى قلبي وفاضت أدمعي
يوم الرحيل جداولا وسيولا
تتراقص الأشواق خلف أضابعي
فيرف وجهك في الضمير بليلا
وأنام والأحلام متعة عاشق
فلعله يبقى الهوى موصولا
لله ما فعلت "دمشق" بخافقي
عاش الحياة بحبها مغلولا
وتخير الوجه المنور قبلة
يوم الحساب وطرفها المكحولا

* *

مهد الحضارة والخلود وما حوى
سفر الزمان عن الرجال فصولا
أحلى النجوم على يديك تساقطت
نشوى تلملم ذيلها المبلولا
وحنت عليك الشمس يغسل وجهها
بردى فتأبى عن سماك أفولا
والمجد صاحب من عرينك فتية
أسدا إذا وقع الردى وعقولا
كل بسفر الخلد سجل اسمه
بطلا وظل على الدجى قنديلا

يا شام حسبك في القلوب مكانة
شمخت وصارت للصمود دليلا
أهدت الى التاريخ من فرسانها
جيلا بمدرجة النضال فجيلا
حملت يداك عن العروبة همها
دوما وكنت الصارم المصقولا
دفنت فلول الطائفية كلها
ومضت تدك كيانها المخذولا
قرآن أحمد في رحاب طقوسها
صان الحقوق وكرم الإنجيلا
فالدين أنزله الإله محبة
وتسامحا لا فتنة وذحولا
شرف الحياة وفخر كل شريعة
أن لا يعيش بها العزيز ذليلا

* *

بنت الشآم ، وبنت كل فضيلة
وقف الزمان ببابها مذهولا
خضل البيان ترف عطرا ناعما
وندى وظلا في الهجير ظليلا
حملت بكل الصدق حب بلادها
وجرى بكل دمائها محلولا
نقلت الى الدنيا روائع جلق
والى الثريا شالها المغزولا
رسمت بماء القلب أجمل صورة
عنها تناقلها الزمان جليلا

فكفاك ما أعطت يداك من الندى
حق المجاهد أن ينام قليلا

* *

عفوا "دمشق" وللأديب همومه
أضحى بظل بيانه مشلولا
أمسى بآهات الضمير مقيدا
وقضى بحر دموعه مغسولا
نضب المداد من اليراع ولم يزل
يبكي الديار خرائبا وطلولا
كبرت مصائبه وأصبح عاجزا
لا يحسن التعليلا والتأويلا
أحداث أمته تمزق قلبه
وتزيد في أوصاله تقتيلا
إن صبها من أصغريه فربما
حصد النتائج أدمعا وعويلا
أو ظل يكتم ما يراه تخاذلا
قتل التخاذل قلبه المكبولا
فيضيع بين الحالتين مشردا
ويظل كل حياته مخبولا

* *

يا شام عهدي بالقريض مسليا
يغني القلوب أغانيا وهديلا
مالي أراه وقد خبت أضواؤه
يقضي بقية عمره مملولا

دخلت عليه الأعجمية عنوة
فبكى الجمال .. وبلل المنديلا
ويل القريض من الحداثة عندما
جاءت تدمر صرحه المأهولا
وتدك أركان الجمال بمجدد
وتدق في أعماقه إزميلا
أنصارها حملوا السلاح سخافة
دون الرجوع لما يكون اصيلا
شنوا على الأسلاف أشرس حملة
ضد التراث وقدسوا المنقولا
رجموا عباقرة البيان وزوروا
قيم الجمال ومثلوا تمثيلا
وقضوا على المجد التليد ونكلوا
بالشعر في أوزانه تنكيلا
فليتركوا صنع الجرار لأهلها
فالعلم يرجم جاهلا وكسولا

* *

يا شام حبك في الضمير أصونه
دوما ولست بغيره مشغولا
قسما بمن أعطاك مجدا خالدا
سيظل حبك في دمي محمولا
ما زلت يا شام الجمال بثينة
وأنا على مر العصور جميلا

جابر خير بك

إلفـــة



أطل من الكواكب في ازدهاء
فـألـمح في ذرا الأفـلاك شـرفـه
عليها من عطاء اللـه روض
حباه الطيب في الأزمان عرفه
يوزع بوجـه حبا وعشـقا
ويثني نحو أمس الشام عطفه
ففيه من " المنوليا" نشر عطر
وفيه من " عصي الدمع " نتفه
وفيه " يضحك الشيطان " زهوا
ويـزرع في حنايا الكون عنفه
وفي " بسمة الحزن " المنـدى
عليهـا يسكـب التحنـان لطفـه
وأسمعها تردد في انـطـلاق
عـلى وتـر مـن الإبـداع تحفـه
إذا تاهـت دمشق بعاشـقيها
فرائد ركبهم في الشام " إلفة "

أيها السادة :

ندعو أديبتنا الكبيرة وقاصتنا الأثيرة السيدة " إلفة الادلبي " الى المنصة ، كما ندعو الاستاذ الأديب " مدحة عكاش " صاحب مجلة الثقافة ورئيس تحريرها لتسليم شهادة التقدير الى المحتفى بها .

كلمة المحتفى بها الأديبة

إلفة الادلبي

أيها الحفل الكريم .. سيادة الوزيرة

اشكر جزيل الشكر الأديبات والأدباء الذين تحدثوا عني في هذه الأمسية . لقد عاملوني بكرم كبير ، وعطف حنون ، كما يعامل الفارس النبيل امرأة عجوزا مثلي ، يريد أن يفرحها .. كنت أتحرى في ذهني عن كلمات أشكرهم بها تضاهي روعة كلماتهم فلم أوفق .. ويبدو أنني لست أول من وقع في مثل هذا الحرج ..

اذكر الآن بيتا من الشعر افتتح به الأخطل الصغير الشاعر الكبير بشارة الخوري قصيدته يوم أقيمت له حفلة تكريم في لبنان

قال :

ما للقوافي إن جاذبتها نفرت
رعت شبابي ، وخانتني على الكبر .

والقوافي كثيرا ما تشرد وتخون الشعراء لاسيما في المواقف الحرجة ، أما أنا فقد خانني النثر الذي قلما يخون ، أو لايخون أبدا .. وكل حسب طاقته .

ما تمنيت نفسي أن أكون خيرا مما أنا كما تمنيت في هذه الأمسية ، وما لمت نفسي على كسلها وتهاونها وتقصيرها كما لمتها اليوم .. كنت أستعرض في ذهني مسيرتي الأدبية الطويلة فلا أجدني قد أعطيت شيئا يذكر ، ارضى أنا عنه ، ويتناسب مع طول هذه المسيرة ، رحم الله الشاعر الكبير أبا تمام حين قال عندما اقترب أجله :

ما حسرتي إن كدت اقضي إنما
حسرات قلبي أنني لم أفعل

فإذا كان أبو تمام الذي جدد في الشعر العربي ما جدد ، وابتكر من المعاني مالم يسبقه إليها أحد ، وترك لنا هذا التراث الضخم ديوان الحماسة يتحسر عندما اقترب أجله لأنه يعتقد أنه لم يفعل شيئا .. ما عساي أقول أنا ؟؟ ولم أفعل إلا القليل القليل ، واليسير اليسير ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

أكرر شكري للأدباء والأديبات الذين طوقوا عنقي بجميلهم ما حييت كما أشكر سيادة وزيرة الثقافة التي تكرمت ورعت هذا الحفل .

وأشكر جميع الذين حضروا هذا الحفل وبخاصة الأديب الكبير الأستاذ مدحة عكاش الذي أخذ على عاتقه تكريم الأدباء تلك المهمة الصعبة ، ومن أولى بتكريم الأدب من الادباء الأصلاء أمثاله .

والسلام عليكم .

إلفة الادلبي

ببلوغرافيا..

إلفة الإدلبي

الأديبة الرائدة

إعداد:

يوسف عبد الأحد

ترجمة حياتها في سطور:

* ولدت الفة عمر الادلبي في مدينة دمشق في حي الصالحية عام ١٩١٢ من ابوين دمشقيين هما أبو الخير عمر باشا ونجيبة الداغستاني .

* تلقت علومها في مدرسة تجهيز البنات

* في عام ١٩٢٩ تزوجت الدكتور حمدي الادلبي وهي في السابعة عشرة قبل أن تتم دراستها .

* عملت في لجنة النشر في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب زهاء سبع سنوات كما عملت في لجنة المقتنيات في مؤسسة السينما .

* بدأت الكتابة في وقت مبكر .

* شاركت في احياء عدد كبير من الأمسيات الأدبية في دمشق وفي بعض المحافظات السورية ، وألقت عشرات المحاضرات في الأندية والمراكز الأدبية .

* نشرت مقالات وأحاديث في الصحف والدوريات السورية والعربية ، وأجريت معها مقابلات صحفية وتلفزيونية عديدة .

* ترجم من قصصها الى اللغات الروسية ، الالمانية، الفرنسية ، الانكليزية ، الاسبانية ، المجرية، الصينية ، التركية .

* كان لوالدها الفضل الاول في توجيهها الوجهة الادبية ، وكان لخالها كاظم الداغستاني الفضل الكبير في دفعها الى كتابة القصة القصيرة ، عرفها بالادب الحديث أمثال طه حسين وبمعارك النقد الأدبي التي كانت تثار على صفحات المجلات المصرية مثل الرسالة والمقتطف وغيرها .

* في عام ١٩٤٠ انتمت الى جمعية الندوة ، وقامت من خلالها بنشاط أدبي واسع ، ثم انتمت بعدئذ الى حلقة الزهراء الادبية .

* في عام ١٩٤٥ انتمت الى جمعية الرابطة الثقافية النسائية وكان من أبرز اعمال الرابطة اصدار كتاب مختارات من الشعر والنثر لماري عجمي .

* في عام ١٩٤٧ كتبت أول قصة لها بعنوان القرار الاخير وارسلتها للاشتراك في مسابقة اذاعة لندن ، ففازت بالجائزة الثالثة ، وقد شجعها هذا الفوز على الاستمرار في كتابة القصة ٠

شهادات وآراء الأدباء في قصص الفة الادلبي

الشاعر أبو سلمى :

يعجبني في هذه القصص (وداعا يا دمشق) حلاوة السرد وبساطة الاسلوب ، وعدم التعقيد في الافكار ٠

وقد امتازت السيدة الفة بموضوعاتها الشامية التي يعبق فيها الارج الدمشقي فتصف البيوت والاحياء او العادات والتقاليد ، او العواطف والاحاسيس وصفا دقيقا محببا ٠

مجلة المضحك المبكي ١٩٦٣

الأديب سامي الكيالي :

أديبة بارعة الوصف ، دقيقة الملاحظة تستمد عناصر قصصها من حياة المجتمع السوري تصف الحياة القديمة ، بمختلف صورها ، وتجيد مظاهر الحياة الحديثة وصفا يدنيه من الواقع ٠

مجلة العربي كانون الثاني ١٩٦٢ العدد ٣٨

الأديب محمود تيمور

بناء أقاصيصها يقوم على دعائم من استجابة الكاتبة للحياة من حولها ، فهي لا تضرب في مسارح الخيال ، فتسوي لنا صورا من جانب السماء عليها أصباغ من قوس قزح لا تكاد تلمع حتى تخبو ، بل انها تصطنع الخيال أداة طيعة تهبط بها الى الحياة على ظهر الارض ، فتتخذ من الأخيلة ما يتخذ الطاهي من التوابل والافاوية مطيبا بها ألوان الطعام ، وهي تطيب بهذه الاخيلة ما تشهد من أحداث الناس ، وما تستجيب له نفسها من شؤون المجتمع ومرائيه ٠

الدكتور عبد السلام العجيلي

تتميز السيدة الفة الادلبي بموهبتها لبارعة في تسجيل قصص الحياة الواقعية ، بأسلوب رائق وسرد طلي مستمدين من نضارة الحياة الشامية التي تصفها في ما تكتبه ، وتكاد السيدة الادلبي ان تكون الوحيدة بين قصاصينا وكاتباتنا القصصيات التي بلغت بهذا النوع من الفن القصصي هذه الدرجة من الكمال ، ومن يقرأ كتابيها " وداعا يا دمشق " و " قصص شامية " يدرك ماقلته بوضوح ٠

مجلة المضحك المبكي ١٩٦٣

عدنان بن ذريل

الحرص على رصد الواقع الشامي وتطوراته في سورية العربية ظاهر في أدب السيدة الفة الادلبي ٠

ومجموعة " وداعا يا دمشق " صورة لهذا الحرص الادبي الذي هو بالاحرى عندها منحى أدبي بارز المعالم ٠

وموضوعات القصص متنوعة قد اكسبتها التنويع مسحة من الاصالة والابتكار ، إلا أننا نتبين بوضوح وراءها هدفا أساسيا ظل يطبعها بطابعه ، وهو رصد الواقع الشامي ، وذلك بسرد أخباره ورسم ظروفه ، وتحليل مواقف الاشخاص ازاءه ، وعلى الخصوص رسم البيئة الدمشقية الشامية بين جيلين، الجيل الحالي ، والمعاصر،

والجيل السابق عليه .

جريدة الثورة ٨-٦-١٩٦٦ عدد ٩٣٤

عبد الاله الرحيل

تتناول قصص مجموعتها " عصي الدمع" المرأة في مجتمعنا ، تطلعاتها ، طموحاتها ، والعوائق التي تقف في طريقها .

تبدو المرأة في قصص الفة الادلبي الجانب الضعيف غالبا والذي يثير الشفقة ، انها تبدو منفعلة غير فاعلة .. أو انها جاءت الى هذه الدنيا وقدرها أن تكون هكذا .. تؤمر فتطيع ، تقدم الى المذبح .. وما عليها إلا أن تظل ساكتة حتى ينفر الدم من عنقها .

جريدة تشرين ١٦-٣-١٩٧٧ عدد ٤٢١

عفراء ميهوب

لو لم تكن هناك الفة الادلبي لتمنيت أن توجد واحدة مثلها ، تخط لنا حياة المرأة الشرقية بكل بلواها فتبدو لقصصها قيمة وثائقية تتحدث عن مرحلة قديمة جدا من التخلف الاقتصادي والاجتماعي .

هذه الوثائق بالذات من حياة المرأة في أدب الفة الادبي تأخذ منحى يختلف عن غيرها من الوثائق ، نظرا لأن أكثر ما تحدثت عنه الكاتبة لا زال متفشيا في وسطنا بشكل أو بآخر .

جريدة تشرين ٣٠-٤-١٩٧٨ عدد ٧٧١

وداد قباني

وقد حرصت الاديبة الفة في مجمل رواياتها على رصد الواقع الشامي وتطوراته حيث هي دمشقية الاصل ، والروح ، ذات اسلوب سلس عذب ، رضعت حبها للشام منذ ولادتها في دمشق عام ١٩١٢ من أبويها الدمشقيين ، وقد بدأ اهتمامها بالأدب في المرحلة الاعدادية رغم انه لم يتح لها متابعة التحصيل العلمي المنتظم غير أنها تابعت ثقافتها بشكل ذاتي وأجهدت نفسها لتحصيل ثقافة متنوعة وشاملة فكانت بحق رائدة من رائدات التعليم الذاتي .

الثقافة الاسبوعية ٢-١٠-١٩٩٣

عبد الله أبو هيف

لقد كتبت الفة الادلبي عن المرأة المقهورة في قصصها السابقة مثلما في مجموعتها (عصي الدمع) وكانت ترى أن هذا القهر صورة المجتمع وكأنها اليمين الذي لا يقبل الشك . فتخلف المرأة ولا فاعليتها شيء من بنيان المجتمع واصوله الراسخة .

عموما تعلن الفة الادلبي من جديد حزنها على وضع المرأة ، ولكن في اطار الحفاظ على القيم والاخلاق السائدة ، انها تدعو الى التكيف مع المجتمع ، وليس الى تغييره .

كانت قصص الفة الادلبي اعلانا للنية الطيبة في التوافق مع المجتمع ورعاية عاداته وقيمه أنه الحل الشخصي لواقع صعب ومعقد ونام باستمرار .

جريدة البعث ٧-٥-١٩٧٨ عدد ٤٦٦٧

نورا شعراوي

استطاعت الفة ان تصور لنا في أقاصيصها أعماق نفسية المرأة وبداوتها ونزواتها فأفادت بذلك القصة العربية جدا ومن أدرى من المرأة بالمرأة .

خير ما في قصصها أنها طراز خاص وشخصية مستقلة فيها تصوير للحياة الشرقية فهي

شرقية الجو والروح والنزعات .

أما الطابع الذي ارتضته فعرفت به وعرف بها فهو طابع الشامية وأعني بالشامية تلك الخصائص العقلية والسلوكية التي تتصف بالنعومة والتهذيب والمصالحة ، وغير ذلك من ولائد حضارة قديمة متوارثة كونت الخلق الشامي وجعلته نسيج وحده ..

مجلة فيروز نيسان ١٩٨٩ عدد ٩٩

الناقد مارون عبود

كتب مارون عبود عن مجموعتها القصصية الاولى (قصص شامية)

إن ارضنا بور يا سيدتي فلنحرثها أولا ، ثم ننقل سكننا الى الاراضي المجهولة ، الى الاراضي الموات لنحييها ، تصير لنا، اساطيرنا ، وكل بلد فيه ما يكفيه ، تحتاج من يحييها ، وفي أحيائها أدب جم ومواضيع ...فة .. حسبها في كتابها " قصص شامية " فتحت طاقة تطل على البيوت الشامية ...رت بعض نواح من نواحيها الشرقية .

جريدة النهار ٢٣-٧-١٩٩٠ العدد ١٧٦٨٠

مؤلفاتها المطبوعة :

١- قصص شامية - دار اليقظة العربية دمشق ١٩٥٤ طبعة ثانية دار طلاس ١٩٩٢

٢- وداعا يا دمشق - مكتبة اطلس دمشق ١٩٦٣

٣- المنوليا في دمشق - مجموعة محاضرات - مطابع ابن زيدون ، ١٩٦٤ طبعة ثانية ١٩٩١

٤- ويضحك الشيطان - قصص أخرى ، مطابع الف باء الاديب ١٩٧٠ طبعة ثانية دار طلاس ١٩٩١

٥- نظرة في أدبنا الشعبي ، اتحاد الكتاب العرب ١٩٧٤ طبعة ثانية دار الشاري ١٩٩٢

٦- عصي الدمع - اتحاد الكتاب العربي ١٩٧٦ طبعة ثانية دار طلاس ١٩٨٩

٧- دمشق يا بسمة الحزن - وزارة الثقافة ١٩٨٠

٨- نفحات دمشقية - جمعية اصدقاء دمشق ١٩٨٠ طبعة ثانية دار دروبي ١٩٩٠

٩- اسرائيليات - محاضرة - جمعية أصدقاء دمشق ١٩٨٣

١٠- حكاية جدي - رواية - دمشق ١٩٩٠

١١- وداع الأحبة - دمشق ١٩٩٢

كتب معدة للنشر

١- ما وراء الاشياء الجميلة - مجموعة قصصية

٢- مجموعة محاضرات

٣- خواطر وأحاديث اذاعية

بعض المراجع عن أدبها في الصحف والمجلات

١- الملحق الشهري من الاسبوع الأدبي العدد التاسع - آذار ١٩٩٠ تضمن دراسات عن أدبها لكل من : سمر روحي الفيصل - الدكتور حسام الخطيب - الدكتور عبد الله أبو هيف - الدكتورة بثينة شعبان - ملاحة الخاني - وعيسى فتوح .

٢- وانداحت دائرة اهتمام الكاتبات - نبيلة الرزاز جريدة الثورة ٣-٣-١٩٧٧ عدد ٤٣٠٤

٣- ملامح شرقية في قصص الفة الادلبي - عيسى فتوح - مجلة المعارف اللبنانية ٤ نيسان ١٩٦٣

٤- المنوليا في دمشق - عيسى فتوح - مجلة المعرفة عدد ٢٨ حزيران ١٩٦٤

٥- لقاء مع القاصة العربية السورية - أديب عزت جريدة البعث ٢١-١-١٩٧٩ عدد ٤٨٨٠

٦- دمشق يا بسمة الحزن رومانسية فكرية وتعامل سوداوي مع الواقع - صبحي كردي جريدة تشرين ٢٠-٢-١٩٨١ عدد ١٧٧٥ ٠

٧- الفة الادلبي ، أنا مع التقاليد بالقدر الذي يحفظ لنا طابعنا الخاص - حوار نوال باشوري جريدة تشرين ١-٢-١٩٨٢ عدد ٢١٠٣

٨- حوار مع الفة الادلبي - حسن جميد الاسبوع الادبي ١١-٦-١٩٨٧ عدد ٦٩

٩- نساء نحبهن (الفة الادلبي - نورا شعراوي مجلة فيروز عدد ٩٩ نيسان ١٩٨٩

١٠- الاديبة الفة الادلبي للثورة " الحاح الادب على التحدي لعب دورا في معركة الصمود ضد اسرائيل " حوار فادية البخاري جريدة الثورة ٢٠-٥-١٩٨٩ عدد ٧٩٦٣

١١- الادب ٠٠ رؤية ٠٠ وموقف ٠٠ وسلوك حوار جمال عبود جريدة البعث ٢٥-٩-١٩٨٩ عدد ٨٠٦١

١٢- الفة الادلبي ترصد الحياة الشعبية الدمشقية الدكتورة ناديا خوست جريدة الثورة ٢٨-١٢-١٩٨٩ عدد ٨١٤٢

١٣- قراءة في رواية دمشق يا بسمة الحزن حسن جميد الاسبوع الادبي ١٥-٣-١٩٩٠ عدد ٢٠٥

١٤- حوار ثقافي مع الاديبة السورية الفة الادلبي للكفاح العربي حوار رحاب تركاوي - مجلة الكفاح العربي ٢٧-١-١٩٩٢ عدد ٧٠٤

١٥- الفة الادلبي تقول لنجاة قصاب حسن : استعنت عليك بالله ٠٠ جريدة تشرين ٢-٦-١٩٩٢ عدد ٥٣٦٦

١٦- الفة الادلبي حديث من القلب عن الادب والحياة - فادية البخاري جريدة تشرين ٢٨-١-١٩٩١ عدد ٤٩٦٩

١٧- حكاية جدي ، للأديبة الفة الادلبي - لينة النويلاتي مجلة الوان ٣-١٠-١٩٩٢ عدد ٦٣٧

١٨- تكريم المثل (الدكتورة ناديا خوست) جريدة تشرين ٣-١١-١٩٩٣ عدد ٥٧٧٨

١٩- الفة الادلبي - وداد قباني - الثقافة الاسبوعية ٢-١٠-١٩٩٣ عدد ٢٧

٢٠- الفة الادلبي : اليكم المرأة والقلم كلود سابا - جريدة النهار ٢٣-٧-١٩٩٠ ٠

مراجع الكتب :

١- كتاب الصوت والصدى ، رياض عصمت - دار الطليعة بيروت ١٩٧٩

٢- كتاب الادب والايديولوجيا في سورية - بوعلي ياسين - نبيل سليمان دار ابن خلدون ١٩٧٤

٣- كتاب " أدب القصة في سورية " عدنان بن ذريل - منشورات دار الفن الحديث العالمي ١٩٦٦

٤- كتاب " فكرة القصة " عبد الله أبو هيف منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٨١

اعداد : يوسف عبد الاحد.

أقوال في أدب السيدة
إلفة الادلبي

الناقد بديع بغدادي

كتب الناقد بديع بغدادي دراسة وافية عن رواية (دمشق يا بسمة الحزن) نشرت في مجلة المعرفة العدد ٢٢٨ السنة التاسعة عشرة شباط ١٩٨١ ٠ ختمها بهذه الكلمة :

رواية دمشق يا بسمة الحزن صوت أدبي نسوي جاد وجريء يحاول أن يقول الكلمة الضرورية حول تحرر المرأة ، ولا يمكن للناقد الموضوعي إلا أن يرى في إيجابياتها كسبا للرواية العربية بعامة والسورية بشكل خاص ، وان يهنيء الكاتبة على عطائها المستمر واغناء تجربتها بعمل روائي متيمز ٠

ثم أخرج هذا الناقد الرواية مسلسلا تلفزيونيا من خمسة عشر حلقة ٠

وتترجم الآن الى اللغة الانكليزية من قبل رئيس المركز الثقافي البريطاني في دمشق ٠

***

الاديب اسماعيل الحبروك

قال الأديب المصري المرحوم اسماعيل الحبروك في مجلة الرقيب الدمشقية عدد ٤٠ ١٥ شباط ١٩٥٨ :

استمعت الى قصة الكاتبة السورية الفة الادلبي في منتدى سكينة وأنا مسؤول عما أكتب :

إنها قصاصة عربية نادرة لم تأخذ مكانها الذي يستحقه انتاجها الادبي ٠

ثم نشر كتابتها بعنوان عشر قصص اخترتها ، خمس قصصها مترجمة وخمس قصص عربية لطه حسين ومحمود تيمور ويوسف ادريس وتوفيق الحكيم والفة الادلبي

اسماعيل الحبروك - مصر

الناقد مارون عبود

قال مارون عبود عن ألفة الادلبي في كتابه نقدات عابر الصادر عن دار الثقافة ببيروت عام ١٩٥٤ ٠

أنا أؤمن بالذاتية قبل كل شيء ، وقد رأيت أن السيدة الفة ذاتُ ذاتٍ ، وحسبها في كتابها هذا " قصص شامية " أنها فتحت لنا طاقة تطل على البيوت الشامية فصورت بعض نواحي من نواحينا الشرقية ٠

تصور لو أن السيدة إلفة عملت حكايات كغيرها لا تصلح لمكان وتصلح لكل مكان ؟

فخير للكاتب أو الكاتبة أن يكون له غرفة ، أو كوخ من صنع يديه على ان تكون له دار بالأجرة ٠٠ فعلى هذا الاساس بنيت تقديري للسيدة الفة الادلبي ٠

إن موهبة القصة متوفرة للسيدة إلفة ٠٠ ومن أقاصيصها السبعة عشر في كتاب قصص شامية يعلم حقاً أنها تستحق ان تحمل هذا الاسم لأنها لم تعالج الا مواضيع محلية ٠

لقد كنا في حاجة قصوى الى مرآة تصور لنا أعماق نفسية المرأة ، وبداوتها ، ونزواتها، وأمانيها ، وإذا بنا نعثر على الكثير منها في هذه الاقاصيص الطريفة ٠

مارون عبود

***

الأديب رياض درويش

كتب رياض درويش في جريدة الثورة العدد ٤٢٦ في ١١-١-١٩٧٧ عن المجموعة القصصية (عصي الدمع) لالفة الادلبي ، دراسة مفصلة ختمها بهذه الكلمة :

في قصتها الأخيرة عصي الدمع تتألق الكاتبة أسلوبا ومضمونا فهي تنظر الى البطولة في معارك تشرين نظرة انسانية ، تنظر اليها من خلال رؤية سياسية تجد الفقراء هم الذين يقدمون دماءهم قربانا لوطنهم ، ومن خلال نفس الرؤية تفضح المستفيدين من الحرب دون أن يقدموا شيئا إليها ٠

رياض درويش

الدكتور عبد السلام العجيلي

قال الدكتور عبد السلام العجيلي في حديث له عن أدب الفة الادلبي في جريدة المضحك المبكي الصادرة في ١٠-٩-١٩٦٣

تتميز السيدة الفة الادلبي بموهبتها البارعة في تسجيل القصص الواقعية بأسلوب رائق ، وسرد طلي مستمدين من نضارة الحياة الشامية التي تصفها فيما تكتبه ، وتكاد السيدة الفة الادلبي ان تكون الوحيدة بين قصاصينا وكاتباتنا القصصيات التي بلغت بهذ النوع من الفن القصصي هذه الدرجة من الكمال ٠

ومن يقرأ كتابها " قصص شامية " - " وداعا يا دمشق " يدرك ماقلته بوضوح

د ٠ عبد السلام العجيلي

***

الناقد ماهر قنديل

قال الناقد المصري السيد ماهر قنديل في مجلة حواء التي تصدر في القاهرة العدد ٧٥٩ نيسان ١٠-١٩٧٩ عن كتاب (ويضحك الشيطان) لالفة الادلبي :

الحقيقة أن العالم الذي تتحرك فيه مؤلفتنا الفنانة الفة الادلبي هو عالم فسيح ، عالم مفتوح النوافد والأبواب ، عالم يعيش فيه الانسان بعقله وقلبه ، بحسه وروحه ، بسموه وانحداره ، بآفاقه الرحبة ، وطرقه المسدودة ، إنه عالم تطل منه المشكلة الاجتماعية، والأزمة النفسية ، والقضية السياسية كما تشم منه رائحة الزمان والمكان في دمشق الحبيبة ، ففي هذه المجموعة (ويضحك الشيطان) تستطيع أن تجد التطبيق العملي للطريقة التي يستطيع الفنان الحقيقي من خلالها أن يحول الفن الاقليمي الى فن انساني ٠

ماهر قنديل - مصر

الاستاذ نجاة قصاب حسن

كتب الاستاذ نجاة قصاب حسن كلمة عن رواية دمشق يا بسمة الحزن نشرت على غلاف الرواية الخلفي في الطبعة الثانية للرواية قال فيها :

وحدها تستقطر الحياة حزنا نبيلا يجاور الفرح ..
وحدها تستقطر الحزن تأملا خصبا في مجالات الحياة ..
إن الفة الادلبي ربيع دائم في حياتنا الأدبية ، ومواسم لا تعرف النضوب ، إنها الدمشقية بامتياز كل طيوب الماضي وشفافية الحاضر وأحلام المستقبل .

نجاة قصاب حسن

تترجم الآن رواية دمشق يا بسمة الحزن من قبل رئيس المركز الثقافي البريطاني في دمشق المستشرق " بيتر كلارك "

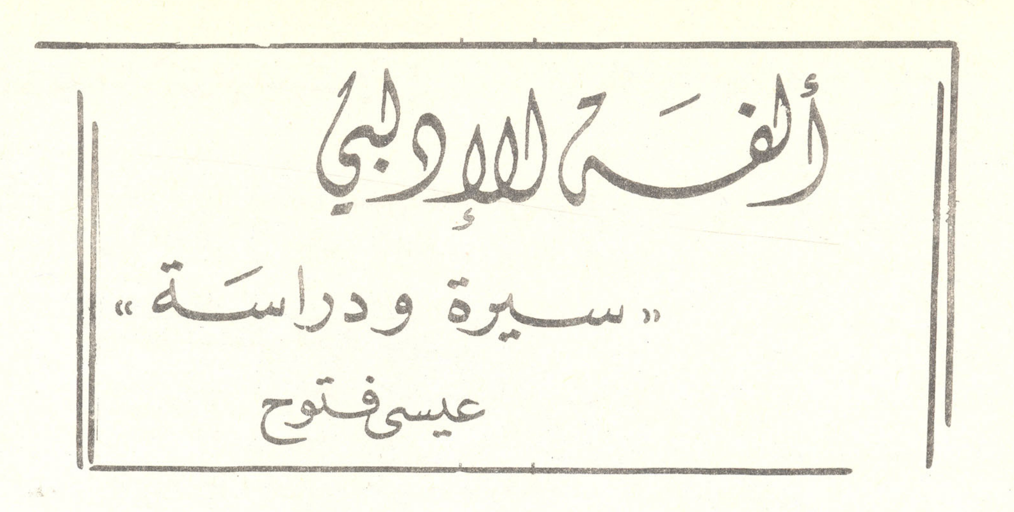
***

الاديب زكريا تامر

كتب زكريا تامر في جريدة القدس التي تصدر في لندن في ١٨ حزيران ١٩٩١ العدد ٦٥٦ :

عرفت الأديبة الفة الادلبي منذ ثلاثة وثلاثين عاما فظلت كما عرفتها أديبة مبدعة أصيلة ، داعية مخلصة للكلمة بعيدة عن التكلف ، معجبة بكل جديد غير مزيف تعمل بصمت بعيدة عن ضوضاء الدعاية الملفقة ، ان ما تكتبه ظل طازجا مفعما بالحيوية قادرا على الامتاع ، ولا يتعالى على القراء مستغلا ضعفهم تجاه الأحداث الوطنية والسياسية ، بل ان ما تكتبه الآن هو دليل على أن الكاتب ذا الموهبة الحقيقية كلما تقدم بالسن ازداد وعيا ونضجا وعطاءا ، وازدادت هيمنته على ادواته الفنية .

زكريا تامر



ولدت الأديبة السيدة إلفة عمر باشا الإدلبي في دمشق عام ١٩١٢، وتلقت علومها في مدرسة تجهيز البنات، وتزوجت عام ١٩٢٩ من الدكتور حمدي الإدلبي وهي في السابعة عشرة، قبل أن تتم دراستها.

ظهر ميلها الى الأدب وهي صغيرة، حتى ان أحد أساتذتها تنبأ لها بأنها ستصبح أديبة مرموقة يوماً ما، وهذا ما حدث فعلاً، وكانت هوايتها المفضلة القراءة الدائبة المستمرة، لاتصرفها عنها مشاغل الحياة الكثيرة.

مرضت عام ١٩٣٢ وظلت طريحة الفراش سنة كاملة، فانتهزت فرصة المرض لتقرأ وتشبع هوايتها، وتعب من ينابيع الأدب العربي والعالمي.. كانت تقرأ عشر ساعات متواصلة يومياً، تتنقل فيها بين الأدب القديم والحديث والمترجم، إلا أن قراءة القصة كانت هوايتها الأثيرة، وكانت عندها الألذ والأمتع، الأمر الذي جعلها تستنفد جميع مؤلفات محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وطه حسين، وميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران، ومارون عبود، ومعروف الأرناؤوط وغيرهم...

استمعت إليها أول مرة تتحدث في الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية حيث ألقت يومئذ قصة بعنوان «سراب» فأخذت ببراعة الإلقاء، وحرارة الألفاظ، وجودة

السبك، ومتانة الأسلوب، وجمال التصوير، والدقة في التقاط الجزئيات، ورحت في اليوم الثاني أبحث عن مجموعتها القصصية الأولى «قصص شامية» التي صدرت عن دار اليقظة العربية في الخمسينات، وتضم سبع عشرة قصة، فقرأتها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع، وأدركت بعد الانتهاء منها أن الكاتبة تنفرد بأسلوب متميز بين الكاتبات العربيات بعامة والسوريات بخاصة، أسلوب يقوم على استمداد لأحداث من الواقع الذي عاشت فيه المؤلفة، وعاش فيه كل دمشقي أصيل، يؤثر أن تبقى لدمشق عاداتها وتقاليدها، ويبقى لها تراثها العريق، وذلك الإيمان بالقضاء والقدر والسحر والتعاويذ والخرافات...

لقد أحبت الكاتبة دمشق بكل ما فيها، وحرصت على كل تقليد من تقاليدها في الأفراح والأتراح، ولذلك سجلت في قصصها ماكان يتردد في هذه المناسبات من زغاريد وأمثال وخرافات لتصونها من الضياع والاندثار، فلا تمحى من الكتب إذا محيت من الأذهان، بعد أن امتدت إليها يد الحضارة والمدنية لتطمس بعض معالمها القديمة، وتعفي على سماتها التي عرفت بها. ولذلك لاتبالي إذا خرجت عن مضمون القصة التي تكتبها، لتطعمها بشيء من الفولكلور، وتخلع عليها اللون المحلي والطابع الدمشقي الصرف، ففي قصة «الرقية المجربة» تقول على لسان إحدى المحتفلات بالعرس الدمشقي:

حصنتك بياسين — يا زهر البساتين
يا ورد وسوسن — على روس السلاطين

ويرد عليها فوج آخر من الصبايا بزغردة أشد حماسة بلغت لعلعتها عنان السماء:

لا أنت طويلة شامخة — ولا قصيرة هابطة
ويا حلاوة سكرية — طبخناها البارحة

ثم تصف العروس وعروسه وأهازيج الشبان وهتافاتهم للعريس قائلين:

نير واقدر وعادنا وهيه

وتفسر الكاتبة معنى هذه الزغردة فتقول: نير واقدر: يقولون للعريس: الزواج نير سنضعه على رقبتك، فان كنت رجلاً حقاً، قدرت على حمله

وعادنا: يقصدون: أن عادنا نحن أصحابك معشر العازبين، وتفرغ لبيتك وزوجتك، وان قدرت على ذلك سنهتف لك قائلين: هيه!.

ولا تنسى أن تنقل في قصة « الرقية المجربة » مضمون هذه الرقية بنصها الحرفي، كما سمعتها او كما حفظتها :

بعثت لك هاني وماني وكبير الجن القهرماني
طربوشه وردي وبابوجه جلدي
ليأتي بك الآن الآن
بأي حال من الأحوال
من أي مكان من أي مكان
على عجل ، عجل ، عجل .

إن وصفها للمسحر في شهر رمضان، والعرس الشامي، والدار الشامية في أكثر أقاصيصها يعطي هذه الأقاصيص قيمة « متحفية » كبيرة، يجد فيها الباحث عن الفولكلور الدمشقي متعة ما بعدها متعة، كذلك تختار أبطال هذه القصص من الأحياء الشعبية القديمة، مثل مهدي أفندي، وأم شكر، وأبو حامد المسحر، ويوسف عيد، وأم حسن، وأبو شيخو. . . وكلهم من عامة الناس البسطاء وسكان البيوت الدمشقية القديمة . . . فلنقرأ ما كتبته في وصف إحدى هذه الدور في قصتها « الكاسات المعدودة » :

« وقد يتملكك العجب إذا مررت بالزقاق الضيق الذي تنبعث منه روائح العفن والرطوبة، ثم رأيت باب الدار المتواضع، فإذا سرت في الدهليز المظلم بضع خطوات، واجهت باباً آخر عريض فإذا ولجته طالعتك دار مشرفة، وانه ليدهشك فناؤها الفسيح قد رصفت أرضه بالرخام الأبيض تتوسطه نافورة يندفع منها الماء بقوة، فيحدث صوتاً متابعاً قد ألفته أسماع أهل الدار، حتى إنهم ليشعرون بالوحشة إذا انقطع الماء وسكن الهدير، وقد زينت الدار بأصص كثيرة فرشت فيها الأزاهير والنباتات المتسلقة التي مدت أغصانها على الجدران ونوافذ المخادع، حتى كستها جميعاً بأغصانها اللينة وأوراقها اللامعة، وفي الزوايا أشجار وارفة من النارنج والليمون، حتى بدت الدار كخميلة كثيفة، وفي صدرها ايوان ذو قوس عال يُصعد إليه بثلاث درجات من المرمر، وقد فُرشت أرضه بالطنافس العجمية، وصفت حواليه الأرائك عليها الحشايا والمساند ».

من هنا كان لقصص السيدة إلفة الإدلبي هذه النكهة الخاصة، وتلك الأهمية عند

المستشرقين، لذلك أقبلوا على قراءتها وترجمتها الى لغاتهم المختلفة، باعتبارها تعكس صورة الحياة الشامية منذ مطلع هذا القرن، فنقلت الى اللغات الروسية والفرنسية والانكليزية والصينية والبلغارية والمجرية... ولعل اهتمامها باللون المحلي في قصتها هو الذي دفع ناقداً كبيراً كمارون عبود لتقدير قصتها فراح يقول لها: «إن أرضنا بور، يا سيدتي، فلنحرثها أولاً، ثم ننقل سكنتنا إلى الأراضي المجهولة، الى الأرض الموات لنحييها وتصير لنا. إن أساطيرنا، وكل بلد فيه منها ما يكفيه، تحتاج الى من يحييها، وفي إحيائها أدب جم، ومواضيع طريفة... حسبها في كتابها «قصص شامية» أنها فتحت طاقة تطل على البيوت الشامية، فصورت بعض نواح من نواحينا الشرقية».

«تصور لو أن السيدة إلفة عملت حكايات كغيرها لا تصلح لمكان، وتصلح لكل مكان! فخير للكاتب أو الكاتبة أن يكون له غرفة، بل كوخ من صنع يديه، من أن يكون له دار بالأجرة»:

«إن في هذه الأقاصيص الشامية دروساً اجتماعية تمليها علينا الحوادث القصصية غالباً، وأحياناً تتولاها بنفسها كما أن موهبة القص وافرة عندها[1]».

تغلّب الكاتبة في معظم قصصها الفضيلة على الرذيلة، والخير على الشر، وتنقذ أبطالها من السقوط والانهيار بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى منهما، كما حصل لبطل قصة «الستائر الزرق» الذي أوشك أن يطلق زوجته العاقر ليتزوج صبية لعوباً، ولما حملها بسيارته الى بيت أهلها لتقيم شهراً يغيب خلاله مع عشيقته الحسناء، فزوجته فيما بعد، طلبت منه أن يعيدها إلى البيت لأنها نسيت أن تغلق نوافذ غرفة الاستقبال، وتخشى عليها من أشعة الشمس، فقدر الزوج منها هذا الموقف الإنساني النبيل، وإشفاقها على عش الزوجية وهي تغادره الى غير رجعة وندم إلى ما كان قد عزم عليه، واستغفر منها، وأقسم أن لا يطلقها، بل جثا على ركبتيه وقبل يديها، ثم مدّ يده الى جيبه فتناول الخاتم الماسي من العلبة المخملية ووضعه في اصبعها، فضمت رأسها إليه، وأخذت دموعها تتناثر حارة على وجهها

وكذلك ارتد أبو شكر عن شرب الخمرة ويكي بعد أن عاقرها زمناً طويلاً لأنه رأى في شهر رمضان حلماً هائلاً حول مايصيب شارب الخمرة من عذاب في الآخرة.

ولا يقل اهتمامها بخواتيم قصصها عن الاهتمام ببداياتها، وقد أشار إلى هذا الأستاذ

محمود تيمور في المقدمة التي كتبها لكتابها « قصص شامية » فقال انها تفتن في بدء الأقصوصة وخاتمتها، وتحرص على استقبال قارئها حرصاً على احسان توديعه . . . تطالعه بما يثير اهتمامه ويبعث شوقه، وإذا أفضت الى النهاية خبأت مايكفل بعث الشوق وإثارة الاهتمام.

ثمة شيء آخر يميز قصص السيدة إلفة ألا وهو اعتمادها على السرد الهادىء المطمئن، أكثر من الحوار الذي يكسب القصة حركة وديناميه، ويسرع في تطويرها ودفع عجلة أحداثها إلى الأمام، غير أن اهتمامها بالسرد لا ينسيها الحوار كلياً، بل نراها تلجأ إليه في قصة « الدرس القاسي » وتمعن فيه على مدى صفحتين كاملتين ونصف الصفحة.

ومهما يكن من أمر فالحوار في القصة ينتج عن اتجاه خاص بالكاتب ومنهج واضح فيه قبل أن يكون ناتجاً عن قصور ذاتي، فالحوار من أسهل الأمور على الكاتب لو أراده.

وأرى أن مهارة الكاتبة تتجلى - أكثر ما تتجلى - في المفاجآت وبعثرة الأحداث ثم جمعها قبل النهاية لتتساند في إعطاء النتيجة، كما تتجلى في حبك العقد واختيار الحل المناسب لها متى شاءت، وفي الغوص الى أعمق أعماق المرأة، فتصف نزواتها وبدواتها وغيرتها وأمانتها وتذرعها وأمانيها . . . وكيف أنها تحلم بالشيء حتى إذا ما أدركت أمنيتها ونالت مآربها ملته وعافته وراحت تبحث عن سواه.

***

أصدرت السيدة الفة بعد مجموعتيها القصصيتين « قصص شامية » و « وداعاً يا دمشق » كتاباً بعنوان « المنوليا في دمشق وأحاديث أخرى » ضم طائفة من المحاضرات والأحاديث التي ألقتها في مناسبات عديدة في كل من دمشق وحلب، والمنوليا كما هو معروف نوع من الزهر الأبيض الكبير ذي الرائحة العبقة، وما كانت المنوليا إلا باباً للحديث عن سيدة أجنبية الأصل سيرتها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع، لأنها جمعت كل الغرائب والتناقضات والمفارقات في حياتها المديدة. . . إنها « جين دكبي » الفاتنة المغامرة التي نشأت في مدينة « نورفوك » في انكلترة، وانتهت في حي « مسجد الأقصاب » بدمشق، بعد حياة حافلة بالعشق والتمرد والطموح مليئة بالنزوات والبدوات والمخاطرات، هجرت قصر والدها المترف لتعيش على هواها، تنتقل من مدينة الى مدينة، ومن محظية أمير الى محظية ملك، وفي كل مرة كانت تنجب أولاداً . . . إلا أن طبيعتها القلقة الملول سرعان ما كانت تفرض عليها التبرم، فتهرب

مع من تصطفيه وتختاره غريزتها الشهوانية، مقتربة من الشرق الذي كان يتمثل لخاطرها صورة ملونة ولا أبدع، فلم لا تغذ السير الى أرض السحر والرؤى والأحلام والغيبيات والأساطير، وترمي بنفسها في حضن سيد قبيلة من قبائل الصحراء، حيث تنجلي البساطة بأوضح معالمها، والخيام والنوق والكلاب والرمل والقمر والسماء الصافية؟ . . .

لقد سئمت أجواء لندن وباريس وبرلين الكئيبة القاتمة، وعافت ألوان المجاملات الزائفة في صالونها الأدبي الذي كان يرتاده نخبة من رجال الفكر والأدب أمثال : فيكتور هيجو، وألفرد دي موسيه، وجورج صاند، وشوبان، وغوته، وبلزاك . . .

لم تغرها كل هاتيك الألقاب الفضفاضة التي كان يخلعها عليها الملوك والنبلاء ممن تزوجتهم كالليدي ألنبره زوجة اللورد ألنبرة وزير العدل الانكليزي، والبارونة فينيجين زوجة الفارس البافاري فينيجين، والكونتيسة نيوتوكي زوجة الأمير اليوناني نيوتوكي . . بل فضلت على هؤلاء جميعاً عبد المتجول المسراب شيخ قبيلة المسراب، وهو الرجل الذي أحبته بصدق بالرغم من بدويته الشديدة، ورضيت أن تعيش في كنفه زوجة بارة وفية مخلصة، تغسل له قدميه، وتحلب نوقه . . . واستمرت على ذلك سنوات، حتى انتقل بها الى دمشق، وأسكنها حي مسجد الأقصاب، في دار عربية الطراز والبنيان، يملأ الزهر جنباتها، إذ كانت المنوليا أحب تلك الزهرات اليها، تعتني بها لا كما تعتني بباقي ورود الدار.

هذه هي جين دكبي التي عرضت علينا قصتها السيدة الفة في أولى محاضراتها التي ألقتها في دار الكتب الوطنية في حلب، فجاءت أمتع فصول الكتاب على الإطلاق، ليس لغرابة القصة فحسب، بل لتلك الطريقة البارعة في الوصف، والدقة في التحليل والربط، والقدرة الفائقة على التكيف بالموضوع الذي تعالجه.

يعجبني في أسلوبها حرارة الألفاظ، ومرونة اللغة، وحسن الأداء، وجمال الصياغة تتسلسل عباراتها تسلسل الماء العذب في الجدول الرقراق، فلا تقطع في التعبير، ولا وعورة في الألفاظ . . تقرؤها فتحس بقرب معانيها من نفسك، وهي حتى في محاضراتها لا تتخلى عن الأسلوب القصصي الجذاب، لأنها أوتيت موهبة القص فعلاً

ثم تطرقت في المحاضرة الثانية الى « قصصنا القومي »، فتحدثت عن رواد القصة

العربية الأوائل في العهد العثماني وفترة الانتداب الفرنسي، كفرنسيس مراش، وجبران خليل جبران، وتوفيق يوسف عواد، وتوقفت عند فرنسيس مراش مؤلف قصة « غابة الحق » عام ١٨٦٢ فاعتبرتها أقدم مشروع قصصي في الأدب العربي الحديث، وهي قصة رمزية على مفهوم الحرية وتحرر الإنسان من ربقة التسلط والعبودية، وقد كانت هذه القصة أول عمل سعى الى تبنيه خواطر العرب وانهاضهم وايقاظهم من غفلتهم إبان الحكم العثماني، وقد برهنت المؤلفة في هذه المحاضرة عن جس نقدي سليم، وملكة صحيحة في الحكم على القصص التي استشهدت بها واختارتها كأمثلة على القصة القومية الناجحة، وان دلت هذه المحاضرة على شيء فانما تدل على الدقة والعمق والاحاطة والشمول وسعة الاطلاع على تاريخ القصة العربية وموقف النقاد منها.

أما الأحاديث الأربعة الأخرى فهي : رسالتان . المرأة العربية والعقيدة. من وحي اسبانيا (دمعة وابتسامة). المرأة في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

يدور الحديث الثالث حول رسالة بعث بها إليها شاب جامعي اسمه « مجيد » من دمشق يدرس الفلسفة في القاهرة، وهو صديق ابنها زياد في المدرسة الثانوية. خلاصة الرسالة والجواب هي أن مجيداً ليس الا واحداً من ملايين الشبان الضائعين الحائرين القلقين الذين يتلمسون طريقهم الى شاطىء الأمان وسط عتمة الآراء والمذاهب والنظريات، في بحور متلاطمة من التمرد والفوضى والبلبلة وعدم الاستقرار... البدع الدخيلة المستوردة تغزو أفكارهم، وتشل أدمغتهم عن التفكير السليم. فمجيد كان في دمشق نباتي المذهب كأبي العلاء المعري، إلا أنه أصبح في القاهرة سارترياً وجودياً، ثم انه ينصرف عن السارترية الى الانسانية فيكره الحرب، وينادي بإزالة الحدود والسدود بين الدول، فالعالم كله في نظره أسرة واحدة، فلا قومية تفصل، ولاجنس او مذهب اولون.

وفي محاضرتها عن « المرأة العربية والعقيدة » أشارت الى أن المرأة أكثر ثباتاً على العقيدة من الرجل، فهي قلما تتلون أو تتقلب أو ترتد، ولو أوردها ذلك الهلاك... وعرجت على التاريخ العربي فأخذت منه أمثلة شاهدة على ذلك، كأم علقمة الخارجية التي وقفت في وجه الحجاج غير هيابة قسوته وجبروته... وغزالة الحرورية التي اضطرت الحجاج أيضاً الى أن

يختبىء في مسجد الكوفة خوفا من سطوتها، وكذلك عمرة بنت النعمان، وسودة بنت عمارة، وهند بنت عتبة، والخنساء الشاعرة، وأسماء بنت أبي بكر وغيرهن. . .

أما المحاضرة الخامسة فهي عبارة عن جولة في الربوع الأندلسية، سجلت فيها انطباعاتها ومشاهداتها ودهشتها لدى دخولها قاعة السفراء وقاعة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة، والمسجد الجامع في قرطبة، فقد أثار اعجابها مدى الرقي الفني الذي وصل إليه العرب في الأندلس، والحضارة المادية والفكرية التي غدت اليوم محط أنظار الزائرين على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وثقافاتهم، ولاتنسى في النهاية أن تذرف دمعة حارة على المجد الذي ضاع وانطوى بعد ان بلغ القمة والأوج.

وفي محاضرتها الأخيرة تتقمص شخصية المحامي للدفاع عن المرأة العربية من النواحي التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتطالب بجرأة أن تساوي الرجل، فتعطى حقوقها كاملة لتكون قاضية. أورئيسة وزارة، أوسفيرة في وزارة الخارجية، وكانت المؤلفة قد ألقت هذه المحاضرة في المؤتمر الخامس للاتحاد النسائي العربي الذي عقد في بيروت في ١٦ / ١١ / ١٩٦٢ حيث مثلت المرأة العربية في سورية، كما تناولت في هذه المحاضرة ألوانا من نشاطات المرأة السورية في ميادين الكفاح الوطني، والعمل الاجتماعي، والثقافة، والتعليم، والصناعات المختلفة، فرفعت بذلك اسم بلادها عالياً.

قصة بلا عنوان

ألفة عمر باشا الادلبي

القصة التي نشرت في العدد الأول

من مجلة الثقافة أيار ١٩٥٨

قال الاديب لصديقه التاجر وقد جمعتهما المصادفة بعد فرقة طويلة في مقهى هادىء على ضفاف بردى :

لكم تقت الى الاجتماع بك في مثل هذا المكان الهادىء المنزوي، وأنت بعيد عن مشاكلك ومشاغلك التي لا تنتهي. لأنني أحب -ولو اتهمتني بالفضول- أن اسألك عن سبب هذه الكآبة التي أصبحت تلازم محياك أينما وجدت. أين اختفى مرحك المطبوع؟؟ وأين توارت ابتسامتك الحلوة التي كانت تضيىء محياك الجميل؟ أنت يا من ضحك لك الحظ كما لم يضحك لمثلك ابداً..

هذا ما اعتدت ان اسأل عنه نفسي دائماً، والى الآن لم أجد جواباً يرضيني ويروح عني. نعم يا اخي منذ ضحك لي الحظ كما تعتقد أنت ويعتقد كثير من الناس امحت الابتسامة من على شفتي ولم أعد اعرفها إلا رياءاً وتكلفاً.

فضحك الاديب وكان صاحب نكتة لاذعة لا يدعها تفوت ولو في احرج الاوقات وقال:

ياليت الحظ اذاً عبس لك وتولى، وترك لك ابتسامتك الحلوة تضيء محياك الجميل، وولى وجهه نحوي أنا لكنت والله عرفت كيف احوله الى ضحكات بل قهقهات.

قال التاجر:

هذا صحيح ربما استطعت ذلك فيما اذا لم تدفع الضريبة الفادحة التي دفعتها أنا !

فابتسم الاديب بخبث ثم قال:

لقد اصبحت يا اخي تاجراً عريقاً تحشر الضرائب في كل مناسبة ومنها تستمد استعاراتك

قال التاجر:

لا لا ليس هناك استعارة ولا تشبيه. انها ضريبة بمعناها الصحيح لم ادفعها مالاً ولكنني دفعتها امرأة ! امرأة وضاءة كالقمر هفهافة كالنسيم، رقراقة كالسلسبيل، سلختها عن روحي، اقتلعتها من قلبي، وظل مكانها خالياً خاوياً وظللت بعدها كئيبا ملتاعاً كما تراني.

ففكر الأديب قليلاً ثم قال:

ان ما تقوله يا أخي ليصلح قصة تكتب

قال التاجر:

اكتبها يا صديقي ارجوك. انه ليشوقني ان أراها مكتوبة على الورق ليقرأها الناس وليعلموا ان السعادة ليست مالاً وافراً، او جاهاً عريضاً كما كنت احسبها وباء حسباني بالفشل. وهاك القصة :

كانت هي زميلتي في المحل التجاري الذي كنت اعمل به وأنا شاب فقير مغمور.

وما كانت لترى في المحل ابداً الا عندما تنصرف منه مساءاً أو بداخله صباحاً حيّية خجول، خفيفة رشيقة تحيي كل من وقعت عيناها عليه من موظفي المحل او مستخدميه بايماءة أو ابتسامة، ثم تختفي خلف احد الابواب لترتقي بضع درجات توصلها الى سقيفة صغيرة معتمة وهناك كانت تستقر خلف ماكينة للخياطة تخيط عليها اكياساً من الورق ثم تملؤها بنوع من البضاعة وتصفها بجانبها. وكان علي ان اصعد اليها من حين لآخر لآخذ ما انجزته وأضعه في المكان الذي أعد له في المحل.

ما اقسى الحياة يا صاحبي وما امرها!!.. في ذلك المكان الضيق المعتم وبين قصاصات الورق واكداس الغبار كان على هذه الصبية الوضاءة ان تمضي زهرة العمر. لانها ما كانت لتنشد من الحياة سوى أن تعيش شريفة موفورة الكرامة.

كانت تنتمي الى أسرة طيبة غدر بها الدهر فرضيت الصبية بهذا العمل المضني الذي يقوم بأودها ويحجبها عن عيون الفضوليين والثرثارين. لم أرها مرة متبرمة أو ناقمة، كانت تبدو دائماً قانعة راضية تعمل بسكون وهدوء والابتسامة لا تفارق محياها الوديع. ،كانت هي الانثى الوحيدة التي تعمل في المحل. ولا اكون

مغالياً اذا قلت لك ان كل واحد من موظفي المحل السبعة جرب مغازلتها. فكانت تعرف كيف توقفه عند حده بلباقة وحسن تصرف دون ان تسيء اليه. الا أنا فقد تركتني أتمادى في مغازلتها. ولم يمض على تعارفنا امد طويل حتى تعاهدنا على الزواج وقد اصبحت عاشقاً معشوقاً. قتل الانسان ما اكفره! هل بعد هذه السعادة من سعادة؟؟

لقد اشعرتني هذه الفتاة بتفوقي فكبرت في عيني نفسي عندما فضلتني على ستة شباب من زملائي وفيهم من يفوقني مالاً وجاهاً، وبعثت في ثقة بالنفس ونشاطاً عجيباً وتفانياً في حب العمل. كنت ابذل كل ما في وسعي لأبدو في عينيها لائقاً بالمكانة التي منحتني اياها، ولم ابد لائقاً في عينيها فقط. لقد بدوت كذلك ايضاً في عيني السيد (أبي الوفا السعدي) صاحب المحل الذي كنا نعمل فيه معاً وكان (أبو الوفا السعدي) رغم مرضه لا يتخلف يوماً عن المجيء الى المحل ويجلس دائماً في صدره يراقبنا جميعاً بعين ثاقبة فلا تفوته شاردة ولا واردة، وقد لاحظ نشاطي واندفاعي في سبيل العمل فراح يزداد بي اعجاباً يوماً فيوماً حتى اصبح يعهد الى دون زملائي بكل مهمة تحتاج الى دراية ومهارة وامانة، وفي كل مناسبة كان يثني علي ويعدد طيب صفاتي.

وكنت واياها حريصين كل الحرص في ان تظل علاقتنا ببعضنا سراً مكتوماً لا سيما أمام زملائنا الذين لن يرتاحوا اليها ابداً ولا بد ان تحرك غيرتهم وتثير حسدهم.

فكان اذا حان موعد الانصراف من المحل خرجت هي قبلي وانتظرتني في منعطف قريب من المحل فاذا وافيتها اليه قمنا بنزهة قصيرة اما على ضفاف بردى وتحت صفصافة الحاني حيث يلفنا الظلام، وفي ذلك الشارع الانيق الذي ينحدر من ذيل قاسيون حتى ضفة بردى، فاذا وصلنا آخر الشارع دخلنا تلك الحديقة الصغيرة ذات المنحدرات الخضر، والتي ينساب فيها نهر صغير، هنالك كنا نجلس على مقعد قائم على ضفة النهر يدها الناعمة في يدي، وجسمها اللدن يميل علي، وعيناها ينبوعان يفيضان عذوبة وحناناً، هناك كنا نتحدث طويلاً ونتخيل مستقبلنا كما نشاء ويشاء لنا الهوى! ونمعن في الخيال. ولكن واقعنا لا يلبث حتى يبرز لنا هازئاً بنا فيقطع علينا الخيال الحلو ويفسد علينا نشوتنا، ان مرتبي الضئيل لا يكفي وحده تكاليف الحياة مهما تدبرنا امرها. فكان عليها اذا ان تستمر في عملها المضني، وكنت اشعر بغصة كلما فكرت بذلك لانني اريد ان انتشلها من مكانها الضيق المعتم ومن بين قصاصات الورق واكداس الغبار وابعدها عن نظرات زملائي الوقحة، والتي كثيراً ما كانت تثير حنقي وتحرك غيرتي.

اما هي فكانت تقول:

-ما أجمل ان نظل هكذا متلازمين دائماً ابداً، سنأتي معاً في الصباح، ثم نفترق انت الى ركنك المخصص لك وانا الى سقيفتي. ومن الكوة الصغيرة سأراقبك وسأطل عليك من حين لآخر وسأراك عندما تبتسم للجميلات من الزبائن وسأنقر لك على الخشب كاني اذكرك: انا هنا موجودة فاياك ان تسترسل..

وتستمر هي في ثرثرتها واستمر انا في تفكيري وقد بدا امامي الشارع الانيق بدوره الفخمة و حدائقه المنمقة وقد فتحت اكثر الشبابيك فظهرت الثريات الثمينة مدلاة من السقوف تشع انوارها وتتلألأ، واتساءل فيما بيني وبين نفسي: ما طعم هذه الحياة المترفة التي يعيشها هؤلاء

الناس خلف هذه الجدران المزوقة وتحت هذه الثريات المشعة؟ ان ثمن واحدة منها يكفل لنا النعيم انا وهذه المسكينة التي الى جانبي عاماً كاملاً، ثم تتمثل لي احياؤها الرطبة القذرة، وحواريها المعتمة ذات الجدران المتداعية، والانوار الخافتة وامام كل بيت من بيوتها نفايا تنبعث منها روائح النتن والعفن، فتفلت مني زفرة عميقة وانا اتمتم: أهذا عدل يا رب؟؟.

فتساءلني هي قائلة: ماذا تقول؟

اقول: ليت لي بعض خلقك الحسن، بعض رضاك وقناعتك. فتضغط على يدي قائلة:

وماذا يدريك ما يخبىءلنا المستقبل؟ وأرد هزئاً. وماذا اعتاد ان يخبىء لامثالنا في مثل هذه البلاد؟.

فتجيبني بلهجة مفعمة بالايمان: لا تكفر فاليأس كفر، الا يكفي انني احبك وتحبني. فآخذ يدها واطبع عليها قبلة وانا اقول لها سامحيني يا حبيبتي فاذا تمنيت الغنى فمن أجلك انت. فتتمتم. دعك من هذا. فانا سعيدة.. سعيدة جداً ما دمت الى جانبك، وبمثل هذه الاحاديث كنا نتحدث اثناء نزهاتنا الممتعة

وذات مساء وقد حان موعد الانصراف من المحل وخرجت هي قبلي كعادتها دائماً

واشارت الي بانها ستنتظرني في المنعطف المعهود، واخذ الزملاء يخرجون تباعا، واذا احدهم وهو المقرب من صاحب المحل يستمهلني قائلاً: لي معك حديث هام، ثم راح يتفرس في وجهي كأنه يراني لاول مرة ثم اقترب مني وهمس في اذني قائلاً: اصدقني هل رأيت ليلة القدر؟ فضحكت هازئاً وقلت له:

ومتى كانت تظهر لامثالنا؟ قال:

لقد ظهرت لك الآن على ما يبدو لي، فالسيد ابو الوفا معجب بك جداً وقد نوه لي منذ ايام انه يتمنى ان يزوجك من ابنته الوحيدة. وقد طلب مني ان اتحرى عن سمعتك واوافيه بمعلومات عنك. فأطريتك كثيراً، واثنيت عليك، ارجوا ان تذكر ذلك جيداً فيما بعد.

فأصابني شبه ذهول من هذه المفاجأة وقلت له:

سأفكر بالأمر. فحملق في وقال:

تفكر بالامر؟ يالك من ابله بليد! او يحتاج هذا الى تفكير او تردد؟ ان عشرات الخطاب يردهم كل يوم السيد ابو الوفا. ولا ادري ما الذي رأى فيك انت حتى اختارك لتحل محله يوماً ما، فعما قريب سيعتزل العمل وسيؤول اليك كل ماتراه عيناك في هذا المحل، هذا عدا عن الارصدة الضخمة الموجودة في البنوك، وعن العمارات الفخمة والدار الأنيقة، لقد وقعت على كنز، اياك ان تفوت الفرصة فربما لا تعود. ارجو الا تنساني لقد مدحتك كثيراً، تعال معي فها هو ذا السيد ابو الوفا ينتظرنا. ووجدتني اسير خلف الرجل. ان شيئاً كثيفاً اخذ يغلف دماغي.

واستقبلني السيد ابو الوفا ببشاشة وحفاوة، وراح يشرح لي كيف احبني منذ رآني اول مرة، وكيف توسم فيّ الخير والصلاح، ولم تكذب الايام حدسه فازداد بي اعجاباً. حتى تمنى لو يزوجني من ابنته ويتخذني ابناً له.

كنت اقف امامه صامتاً منكس الراس. ان شيئاً كثيفاً يغلف دماغي. فأخذ زميلي يلكزني من الخلف ان: تكلم شيئاً. واحسبني تمتمت اخيراً بكلمات تناسب الموقف.

ثم اقترح السيد ابو الوفا ان نتناول العشاء في بيته.

فسرت بين الرجلين مأخوذاً مرتبكاً لا ادري ماذا افعل. وركبنا السيارة الفخمة. ولما مرقت من أمام المنعطف رأيتها واقفة في الظلام تنتظرني وتمط رقبتها لتتبين المارة عساي اكون بينهم، فكاد قلبي يقفز اليها. ولكنني لبدت بين الرجلين وتتضاءلت وظللت صامتاً طول الطريق وجبيني ينضح عرقاً وانا اشعر بحقارتي ورغم كل ذلك ظللت سائراً الى مصيري الجديد، لأن الشيء الذي غلف دماغي شله عن كل مقاومة

وتركتها في المنعطف المظلم تنتظرني. نعم يا صديقي تركتها في الظلام تنتظر وتنظر.

وفي تلك الليلة تناولت عشائي على مائدة عامرة وتحت ثريا شعاعها يخطف الابصار، ،وكانت تجلس امامي امراة ستصبح عما قريب زوجتي، لم يخطر لي ابداً ان ارى ماشكلها، ولكنني ابتسمت لها رياءاً وتكلفاً ومنذ تلك اللحظة ما عرفت الابتسام الا رياءاً وتكلفاً.

ثم انقطعت عن العمل بضعة ايام ريثما تمت مراسم الزواج ثم عدت اليه لا لاتبوا مكاني الى جانب السيد ابي الوفا السعدي. ولكنني كنت أتحاشى النظر إلى السقيفة واشعر في قرارة نفسي بالخزي والعار من فعلتي النكراء. واتساءل فيما بيني وبين نفسي: كيف يا ترى سيكون موقفها مني اذا تلاقينا؟ اتشتمني؟ وتبصق على وجهي؟ فتكون فضيحة كبرى. ام تشيح بوجهها عني وقد امتلأت عيناها الجميلتان بالدموع. عما ستعبر قسماتها الحلوة؟ اعن حقد وكره؟ ام عن اشمئزاز واحتقار؟ وبحركة لا شعورية اختلست نظرة من السقيفة فرأيتها مظلمة خاوية. فارتد عنها بصري وهو حسير. ثم ناديت أحد المستخدمين وسألته عنها

فأجابني اللعين وهو يخفي ابتسامة خبيثة: لقد انقطعت عن العمل منذ ايام ولن تعود اليه ابداً. فشعرت بشيء من الارتياح وبكثير من الالم في آن واحد. ثم قلت له وانا اتظاهر بلا مبالاة، لا بأس بذلك. سنستورد بعد الآن اكياساً جاهزة. وطلبت منه ان يقفل السقيفة ويأتيني بمفتاحها وان يضع فوق الكوة التي كانت تطل على منها لوحة ترسم عليها اعلان لنوع من البضاعة. وحسبتني قد دفنت الماضي وتخلصت منه لأبدأ حياة أنعم وأمتع.

ولا أُخفي عليك يا صديقي انه توفرت لي بعد ذلك كل اسباب النعيم، واندفعت وراء كل اللذات ولكني لم اشعر بنشوة كتلك التي كنت اشعر بها وانا الى قربها في الحديقة الصغيرة ذات المنحدرات الخضر، يدها الناعمة في يدي، وجسمها اللدن يميل على جسمي، وعيناها ينبوعان يفيضان عذوبة وحناناً. وبعد هذا كله اتعجب اذا امحت الابتسامة من على فمي وقد اصبحت انساناً آلة تعطّل فيه الشعور، وماتت النشوة؟

ولم يجب الاديب على سؤال صديقه لان عقله كان قد شرد وهو يستعرض في ذاكرته سماء الصحف والمجلات الادبية وايها يدفع اكثر فيما اذا كتبت لها هذه القصة. وبأي اسلوب اخاذ وجمل ألاقة براقة يستطيع ان يصور المادة وهي تطغى على المثل العليا، وأي عنوان يصلح لهذه القصة ويجذب القراء:

الانسان الآلة : المادة تطغى؟ عصرنا؟ الضريبة؛ الفادحة؟ السعادة الموهومة؟ نشوة تموت؟ ابتسامة تنمحي ؟ غدر وخيانة؟ ولات ساعة مندم؟ ان هذا يحتاج الى تفكير طويل.

ألفة عمر باشا الإدلبي

في رحاب الأدب السعودي

إعداد : تميم الحكيم

لا للطهارة الثقافية :

في محاضرة ألقاها الدكتور عبد القادر طاش ، ضمن الموسم المنبري ، لنادي مكة الثقافي الأدبي ، عن (ثقافتنا بين الأصالة والتغريب) ، دعا المحاضر الى عدم الانسياق وراء المنادين بالطهارة الثقافية ، لأنها دعوة لا تتلاءم مع طبيعة ثقافتنا المنفتحة ، وهي ضارة بنموها وتجددها .. والأحرى بنا - كما يرى الدكتور طاش - أن نتفاعل ثقافيا مع الاخر ، تفاعلا يقوم على الحوار المتكافىء ، والاحترام المتبادل ، والاختيار الحر .

تحذير لطلاب العلم :

حذر معالي الدكتور راشد الراجح ، مدير جامعة أم القرى ، ورئيس نادي مكة الثقافي الأدبي في محاضرة ألقاها بمكة المكرمة من اعتماد الطلاب على أنفسهم في الكتب التي يقرؤونها ، حتى لا يقعوا في تلك الكتب التي تدس السم في الدسم ، والتي قد تؤدي الى تدمير الأخلاق وانحراف التوجهات .. ونبه معاليه على ضرورة الرجوع الى المختصين كل في ميدان اختصاصه ، مع وجود خلفية ثقافية عامة أصيلة .

نشاط دؤوب للصالونات الأدبية :

أثار النشاط الدؤوب لبعض الصالونات الأدبية إعجاب النقاد الذين اشادوا بما تقدمه هذه الصالونات من فعاليات تسهم في إثراء الساحة الأدبية ، مستشهدين باثنينية الوجيه الاستاذ عبد المقصود خوجه ، في جدة ، وأحدية الشيخ أحمد بن علي المبارك في الاحساء ، ومنتدى الدكتور نايف الدعيس ، في المدينة المنورة ، التي تشهد هذه الأيام نشاطا متميزا يثير الاهتمام .

القرشي .. ناشرا :

الشاعر الدبلوماسي المعروف الاستاذ حسن عبد الله القرشي ، وضع رحاله أخيرا على طريق النشر ، بافتتاحه دارا تحت اسم (دار القرشي للنشر والتوزيع) بمدينة جدة .. ويتطلع الكثيرون أن تقوم هذه الدار بدورها في دعم حركة النشر .

إصدارات جديدة :

صدى السنين

صدى السنين عنوان الجزء الاول من ذكريات الاديب والمربي القدير الاستاذ عبد الله بوقس ، التي أخرجها من جعبته المليئة بالتجارب النافعة والخبرات الفنية ليضعها أمام الابناء ، كصورة مشرقة لحياة الاباء ، الحافلة بالجهد والعطاء .

وقد حاول الكاتب في اصداره الاخير كما يقول في مقدمة الكتاب - ان يسجل بعض القصص والطرائف التي مرت به للتخفيف على القارىء من جفاف بعض الذكريات الغابرة ، والنفس دائما تهفو وتتطلع لتجارب الغير وخاصة المستملحة منها .

الكتاب لا يخلو من نظرات تربوية قيمة ، وقد قرظ الكتاب الأديب الشيخ ابراهيم فودة ، الذي جاء في ختام تقديمه : (صدى السنين) صور و رؤى وعظة تستحق القراءة والمتابعة والاستنتاج ، وما أولى شبابنا العزيز الحبيب بذلك .

سطور فوق السحاب

بعد أن بكى الزهر ، وسطر على اليم ، جاء دور الكتابة على السحاب ، فخرج علينا بديوانه الثالث (سطور على السحاب) حاملا مجموعة اخرى من قصائد الشاعر المكي الأستاذ علي أبو العلا ، كما ضم عدة دراسات ومقالات نقدية في أعمال الشاعر الابداعية .

يقع هذا الديوان في ٢٧٦ صفحة ، وقد صدر في طبعة أنيقة ، مع إهداء الى روح أمير الشعراء أحمد شوقي ، لما قدمه للعربية من الشعر الخالد الجديد القديم دائما .



عبد الله بوقس

من أغاني المشرد

عن نادي أبها الأدبي صدر للشاعر العراقي يحيى سماوي ، مجموعة شعرية بعنوان (من أغاني المشرد) حملت معاناة الشاعر في ظل الغربة ، والبعد عن الوطن ..

وقد أهدى (السماوي) ديوانه إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ، الشاعر الذي يكتب باللون ، والرسام الذي يرسم بالكلمة .

اعداد تميم الحكيم

